كتاب الهلال

١٠ قروش

سلسلة
ثقافية
شهرية

ثورة الزنوج في أمريكا

الدكتور عبد الملك عودة

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

مدير التحرير رجاء النقاش

العدد ١٧٦ رجب ١٣٨٥ ـ نوفمبر ١٩٦٥

No. 176 — Novembre 1965

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

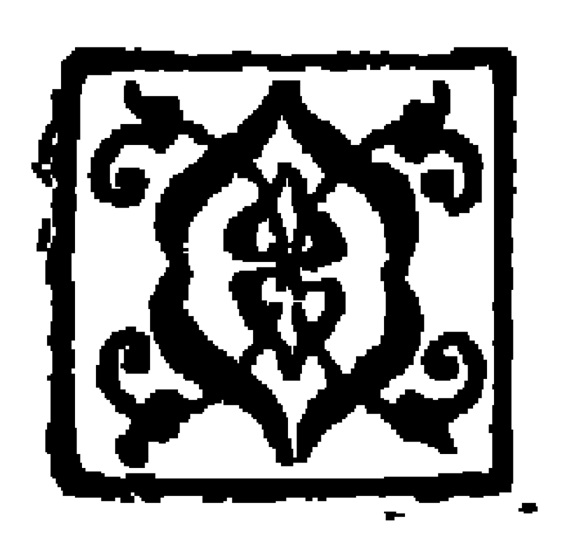
الاشتراكات

قيمه الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى ـ فى السودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠ مليم ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ونصف ـ فى سائر انحاء العالم ٣٥ شلنا

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنـة ، ليبيا (بنغازى وطرابلس) ١٥٠ مليماً ، الجزائر ١٧٥ فرنكا ، المغرب ١٥٠ فرنكا

ں

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف : بريشـــــة
الفنان بهجت عثمان



في أمـــريــكا

•

تأليف

الدكتور عبد الملك عودة

•

دار الهـــلال

مقدمة

٢٠٠ يوم فى امريكا

كان آخر ما قرأته استعدادا للسفر الى أمريكا فى سبتمبر عام ١٩٦٤ كتاب « شعب من الغنم » للكاتب الأمريكى هارت ليدلر ، وكتاب « الوجه الآخر للصورة الأمريكية » لمايكل هارنجتون سكرتير الحزب الاشتراكى الأمريكى ..

وفى الصباح المبكر ركبت الطائرة الى نيويورك لأول مرة فى حياتى وقبل أن يمر يوم كامل كانت الطائرة قد عبرت البحر الوسيط فأوروبا ، ثم بحر الظلمات نحو العالم الجديد ، وأخيرا استقرت فوق أرض المطار الكبير فى ضواحى مدينة نيويورك وما ان خرجت من المطار حتى توقفت لأستجمع قواى العقلية والنفسية فقد شعرت

بأعراض اغماء عقلي . لقد خشيت أن أنهار أمام الاطار الخارجي للصورة الامريكية التي أواجهها لأول مرة في الواقع وعلى الطبيعة . انه اطار براق يبرز أمام الانسان فجأة في صورة ضخمة حتى ليوشك الانسان ان يشعر بضآلته التي تتحول الى ضعف وانهيار نفسي وما يتولد عنهما من مرارة وسخط . ان كل شيء ضخم كبير في أمريكا وبشكل ملفت للنظر .. العمارات والشوارع والمدن ، والماكينات ، وأنواع الصحف وحجمها ، وكميات البضائع وأصنافها وألوانها في المحلات الكثيرة ، اعداد الناس في الشوارع وميزانية الحكومة والشركات وأرقام الأرباح والانفاق ، احصاءات الانتاج ، ومساحات الأراضي المنزرعة والبور ... الخ ..

وتبينت سر جاذبية أمريكا التي يقع فيها الكثيرون من القادمين من آسيا وافريقيا والبلاد المتخلفة . ان السر يكمن في هذا الاطار الخارجي البراق . لقد صنعه الأمريكيون وأبدعوا فيه ليكون عنوان حضارتهم ومجالا للتباهي والتفاخر أمام أفراد الشعوب الأخرى ،

ان الخطر يكمن فى هـذه النظرة الأولى وهـذه الخطوة الأولى حين تأتى من بلاد العـالم الثالث حيث مستويات الحياة منخفضة ، وحيث العمـل الشـاق لرفع انقاض هـذا الظلم وهـذا التخلف الطويل ، وليس البنـاء عمـلا هينـا لينـا فى ظروف النصف الثانى من القرن العشرين . وفى مرات كثيرة كنت أردد آيات بينـات من شـعر ابن الرومى أستعيـذ بهـا من الشيطـان الوسـواس ، لأتزود بالثبـات وأحافظ على توازنى العقـلى والنفسى ، وكانت تنير بصـيرتى وأنا أردد :

ولى وطن آليت الا أبيعـه
وألا أرى غيرى له الدهر مالـكا

وحبب أوطان الرجـال اليهمو
مآرب قضاها الشبـاب هنالكا ..

ومرت الأيام والشـهور حتى اكتملت ٢٠٠ يوم ، وكلمـا توغلت فى حيـاة المجتمع وعلاقات النـاس ، ولاحظت الأمور تجرى ، والقيم والمثـل تعمـل ، حتى اكتشفت اننى دخلت أمريكا من باب الأبيض الثرى ، انه الباب الرسمى لدخول الولايات المتحدة الأمريكية ، وما ان يعبر الانسـان هـذا البـاب حتى تشهد عيناه

الصـــورة التى أبدعت فى الايحاء بها أفلام الســينما وكتب الاعلام وأرقام الانتــاج واحصــاءات التقــدم المادى ، وقصص الحياة فى أرض الفرص .. جنة الله فى أرضه ! .. وعلى الجانب الآخر توغلت فى دنيــا الفكر وفى ميــدان الحقيقة فقربت من الوجه الآخر للصــورة الأمريكية كما يقول مايكل هارنجتون . ان هذا يقودك الى خلفيــة الاطــار الأمريكى . وما ان تدخــل من البـاب المؤدى اليهـا حتى تجد نفسك قــد عبــرت الخط الفاصل بين أهل الغنى ، وأهل الفقر ، وعبرت الخط الفاصــل بين الأبيض والأســود . وهكذا يصل الانســان الى قلب الحيــاة الأمريكيــة ومركز الدائرة الاجتماعيــة . وهنــاك ترى الحقيقة وينكشف عنــك الغطــاء ويزول القلق وتشفى من نوبات الاغماء العقلى

اهل الفقر واهل الغنى

فى الولايات المتحــدة ثراء ضــخم لا تستطيــع ان تصــدق أرقامه بســهولة ، وفيهــا فقــر مدقــع لا تســتطيع أن تصــدق وجوده وتقوم آثاره المدمرة بسهولة ، ان الدراســات الحديثــة تثبت ان بهــذه البــلاد فقراء يتراوح عددهم ما بين ٢٥ مليــونا و ٤٠

مليونا ، ولقد أصبحت قضية الفقراء فى أمريكا قضية سياسية ترفع فى معارك الانتخابات وتسن من أجلها التشريعات وترصد من أجل اجتثاث هذا الفقر بملايين الدولارات ، ولقد أعلن الحزب الديموقراطى فى معركة انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٤ ؛ ان مهمته الرئيسية عند فوز مرشحه بهذا المنصب هى الحرب ضد الفقر ..

فى الولايات المتحدة بطالة دائمة وبطالة مؤقتة عارضة ، تقدرها المصادر الحكومية بحوالى خمسة ملايين ونصف مليون من الأفراد ، ويقدرها الاقتصادى السويدى جنرميردال بنسبة ٦ ٪ من مجموع الأفراد العاملين والقادرين على العمل فى المجتمع . ويضيف لهذا انه بحساب الذين يعملون نصف الوقت أو وقتا أقل من قدرتهم على العمل ، ترتفع النسبة الى ٩ ٪ من المجموع . وقد تبدو الأرقام صغيرة فى نظر بعض الناس اذا تذكروا أرقام البطالة فى الدول الأخرى . ولكنها فى الحقيقة كبيرة ومخيفة فى مجتمع له هذه القدرات والطاقات وبه هذا الثراء من موارد أولية وأرض زراعية وتقدم

تكنولوجى ..

فى الولايات المتحدة ثورة ضخمة تتمثل فى التوسع المستمر فى استخدام الاوتوماتية والعقول الالكترونية فى الانتاج ، وهذا يرسم أمام المجتمع امكانيات تفوق كل التصور فى تزايد أرقام الانتاج والتقدم المادى . ومع هذا فالاحصاءات الرسمية للحكومة الفيدرالية تقرر ان البطالة خلال الأعوام الستينيات سوف تتراوح بين ٥ر٥ ٪ و ٦ ٪ من مجموع العاملين. فاذا حللنا هذه النسبة لوجدناها ترتفع الى ١٥ ٪ بين مجموع الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ سنة و ٢٠ سنة ، واذا حسبنا البطالة بين هؤلاء الشبان من غير بيض اللون لوجدناها ترتفع الى ٥٠ ٪ وبالنسبة لقطاع الزراعة انخفضت نسبة العمال الزراعيين من ١٢ر٦ ٪ الى ٥ر٨ ٪ من مجموع العاملين فى أمريكا نتيجة لادخال الوسائل التكنولوجية فى العمل الزراعى ..

وهذه العينات من احصاءات الحياة الأمريكية تؤدى بنا الى ان الأغلبية العظمى من الفقراء هم الزنوج والملونون . فاذا أضفنا اليهم المهاجرين القادمين

من بورتوريكو ، والمكسيك ، وجزر الهند الغربيـــة ، والشرق الأقصى ، ثم أدخلنـــا فى حســـابنا العـــائلات البيضـــاء الفقيرة خاصـــة فى منـــاطق جبـــال الأبلاش فى شرق أمريكا .. ارتفع العـــدد الى ٤٠ مليـــونا من الأفراد فى مجتمع يصـــل تعداده حاليا « عام ١٩٦٥ » الى حوالى ٢٠٠ مليون من الأفراد ..

الوجه الاسود فى الصورة البيضاء

تدل الدراسات الامريكية على ان الخط الفاصل بين أهل الفقر وأهل الغنى والخط الفاصـــل بين الأســـود والأبيض ــ خطـــان متلازمان ــ ففى داخـــل المجتمع الامريكى تعيش مجموعة ســـوداء اللون يبلغ تعدادها طبقـــا لاحصـــاء عام ١٩٦٠ ، حوالى ١٨٫٨ مليـــونا ، وتزايد عددها لتصـــل حاليـــا الى ٢٠ مليـــونا ، أى حوالى ١٠ ٪ من مجموع السكان فى البـــلاد . ولقـــد هبط الرجل الأبيض أرض أمريكا الشمالية وفى عقـــله صـــورة مزرية للرجل الأسود حملهـــا معه من القصص والأخبـــار التى انتشرت فى أوروبا منـــذ الكشـــوف الجغرافية التى بدأها الأمير هنرى الملاح ورجوع احدى

سفنـه عام ١٤٤١ حاملة عشرة من الافريقيين كرقيق ، وتراكمت انعكاسـات الصـورة وازدادت سـوءا مع توسع تجارة الرقيق الأوروبية فى جزر الهند الغربية ، حتى جاء عام ١٦١٩ ، وهبـط أول فوج من الرقيـق الافريقى على شاطىء ولاية فرجينيا ليباع فى أسواق مدينـة جيمستاون . وجاءت من بعده ألوف الألوف تسـاق كالحيوانات لتقف أمام الدلال فى المزاد العلنى ، ثم تسـاق بعـد ذلك كالمـاشية للعمـل فى حقـول القطن ، وقصب السكر ، والارز فى الجنوب ، وتزايدت أعدادهم وتضخمت عقدتهم حتى جاءت الحرب الأهلية فى الأعوام الستينيات من القرن الماضى لتجد أربعة ملايين عبـد أسـود اللون فى الولايات المتحـدة ، فلما تم الاعلان القانونى برفع قيـد الرق عن رقابهم لم ينعكس هـذا الاعـلان على الوضـع الاجتمـاعى والفكرى والنفسى المتراكم فى نفسية الرجل الأبيض جيـلا وراء جيل ، ولم يغير شيئا من تركيب وبنيان السلطة وهيكل العـلاقات الحكومية وأدوات الردع المعترف بهـا فى المجتمع. وجرت أحداث التطور بالمجتمع الأمريكى وأصابت وضعية الزنوج الأمريكيين الاقتصادية فهجروا الجنوب

فى حالات فردية وفى موجات بشرية متتالية ، الى الشمال فى الولايات المتحدة حيث بيئة الصناعة الرأسمالية والمناخ الفكرى والاجتماعى للمدينة الحديثة ، وتغير ميزان القوى البشرية بين الريف والمدينة . وعلى الرغم من هذا التطور العميق فان هذه الأقلية سوداء اللون ظلت خارج المجتمع لا يعترف الرجل الأبيض بوجودها. انها تعيش فى قلب المجتمع اذا حسبنا قطرات العرق والجهد الانسانى فى البناء والحياة ، وتعيش على هامش الدائرة الخارجية للمجتمع اذا حسبنا كيان الفرد وكرامته ، وتوزيع السلطة ، وتركيب البناء الحكومى ، وتطبيق مبادىء الأمة مصدر السلطات وحق الاقتراع العام وصوتا لكل مواطن فى الانتخابات العامة الخ ..

ومن أعماق هذا التركيب الاجتماعى ترتفع صيحة ٢٠ مليونا من المواطنين الأمريكيين يجمعهم رباط اللون الأسود وتجمعهم الحياة فى قاع المجتمع ومستوياته السفلى ، يعلنون رفضهم لدوام هذا الوضع التقليدى الذى أرساه البيض على أساس :

« اذا كنت أبيض اللون فتقدم للأمام ، واذا كنت ملونا فقف جانبا ، أما اذا كنت أسود اللون فتراجع

الى الخلف » ..

ان الزنوج يرفضون هـذه الحياة فهم أقدم أقليـة ظهرت فى الحيـاة الأمريكية مع الانجلو سـاكسون البيض البروتستانت ، ولقـد اكتسبوا لغة الانجلو ـ ساكسون وفقـدوا لغاتهم الأصليـة ، واعتنقوا ديانة الانجلو ـ ساكسون البروتستانت ولم يبق منهم انسان يذكر دياتتـه الافريقية ، وفقـدوا أسماءهم الأولى ، واكتسبوا أسماء سادة المجتمع البيض ، وتلاشت نهائيا ثقافاتهم الافريقية وأصبحوا يعيشون قلبا وقالبا فى ثقافة الولايات المتحدة الامريكية ..

خـلال اقامتى فى الولايات المتحـدة انتقيت بعض الموضوعات وعكفت على دراستها فى أثناء وجودى أستاذا زائرا بجامعة انديانا (بلومنجتون) . ومن بين هـذه الموضوعات دراسة عن الانتخابات الأمريكية عام ١٩٦٤ وقد نشرتها جريدة « الأهرام » ومجـلة « الطليعة » ، ودراسة عن الحرب ضد الفقر ووثيقة الثورة الثـلاثية وقد نشرتها مجلة السياسة الدولية بعددها الأول فى شهر يوليو عام ١٩٦٥ . وأقدم فى هذا الكتاب « كتـاب الهلال » دراسة عن قضية الزنوج فى أمريكا

الفصل الاول

من أنا..؟!

أنا الرجل الخفى ...	« رالف ايليسون »
لأحد يعرف اسمى..	« جيمس بالدوين »

تبدأ دراسة القضية بعقدة تمثل قمة الأزمة فى حياة هذه المجموعة البشرية التى تصل الى ١٠ ٪ من مجموع تعداد السكان فى الولايات المتحدة ، وان كانت بعض الدراسات الأخيرة استنادا الى ارتفاع نسب المواليد بينهم تقول بأن تعداد الزنوج الامريكيين يصل الى ٢٢ مليونا عام ١٩٦٤ . وهذه العقدة هى انه لا اتفاق حتى الآن على اسم يميز ويعرف هذه المجموعة البشرية . وليس الاختلاف قاصرا على ذوى اللون الأبيض بل تشتعل نيران هذا الاختلاف بين الكتاب ذوى اللون الأسود وأيضا بين المنظمات

السياسية والاجتماعية العاملة منهم .

وتنعكس هذه القصة على جميع نواحي وارتباطات الحياة الاجتماعية لهـذه المجموعة البشرية وأفرادها . والاسم ضرورى لتحديد معالم هـذا الفرد وشخصيته ومكونات ذاته . ويجمل ايزاكس وصف هـذه العقدة بقوله : « ما دام هـذا الفرد الأسـود لم ينـدمج ولم يذب نهائيا فى هذا التركيب الاجتماعى . فلا بد أن يسأل هو ونسأل نحن لمـاذا ؟.. ومن هو ؟.. وان عدم الوصـول الى اجابة حاسمة فى الموضوع ملأ حياة هـذا الفرد بالاضطرابات والقلق والتوتر ، وأصبحنا جميعـا نحن وهم لا ندرى ماذا يشـكل شخصيـاتهم ويرسـمها . وقد صـدق الكاتب الزنجى حين قال : لا أحد يعرف اسمى . فهذا معنـاه ان النجرو ــ كما يدعى ــ كفرد ضائع مفقود فى وسط عالم أبيض اللون يعرفه باسم نجرو . وفى الحقيقة هـذا الاسم « نجرو » يمثل قناعا لبسه هـذا الانسان كرها فى أول الأمر ثم قبله بعـد ذلك طواعية كدفاع شرعى عن النفس . ان هـذا الاسم يمثل كراهيـة واحتقـار وتخاوف وازدراء العـالم الأبيض ، ويمثل كل علاقات الصراع من أجل

الحصول على لقمة العيش والاحتفاظ بها ان وجدت . انه قناع مصنوع من خرافات قديمة توارثتها الأجيال وأنماط تخيلتها عقول ذوى اللون الأبيض . وفى هذا كانوا يرضون أنفسهم ويشبعونها بصورة الرجل الأسود الراكع الخانع الدنيء الحقير الغبى العبد الرقيق ... ليس هناك من يعرف من هو النجرو ، حتى هو لايعرف نفسه اليوم » ..

وها هى ذى قائمة بالأسماء التى تتداول للتعريف بهذا الانسان أسود اللون :

العم توم ـ سامبو ـ نجرو ـ نيجر ـ نيجرا ـ جيم كرو ـ بلاك أمريكان ـ افرو أمريكان ـ افريكان ـ ملون ـ اتيوبى ـ المسمى نجرو ـ نجرو ساكسون ـ نيجريس ـ اكس سليف ـ بلاك ـ نجرو أمريكان ـ أفريكان نجرو ..

وقد انعقدت مؤتمرات لمناقشة هذا الاسم ، ولم تصل الى اتفاق عام حول التعريف ، ومن أشهرها ما تم عام ١٩٠٠، وعام ١٩٣٠، وعام ١٩٦٠. ومن أغرب ما ظهر فى هذه المؤتمرات ما حدث عام ١٩٣٠ ، حين أصر المجتمعون على ضرورة كتابة حرف النون فى كلمة

« نجرو » بالحروف الكبيرة فى اللغة الأنجليزية بدلاً من العرف السائد فى تلك البلاد وقتذاك وهو كتابة حرف النون بالحروف الصغيرة فى اللغة الانجليزية . وكانت الاضافة الايجابية التى قدمها مؤتمر عام ١٩٦٠ ، الذى انعقد فى نيويورك برئاسة المحامى هوراس جوردون هو انه نشر الابحاث والمناقشات التى دارت حول أصل كلمة نجرو وسوء استعمالها فى الحياة والتاريخ الأمريكى . فى كتاب أشرف على طبعه ريتشارد مور ..

وهناك اجماع بين الزنوج الامريكيين على الرفض البات العنيف لاستعمال كلمات نيجر ونيجرا ونيجريس وسامبو واكس سليف وجيم كرو . فهذه الكلمات لها دلالة تاريخية تأتى من واقع التاريخ الامريكى وتجربة الحياة فى أمريكا ذاتها . اذ انها ترتبط بعهد الرق والعبودية حينما كانت هذه المجموعة البشرية تباع وتشترى كالماشية وتعمل كالحيوانات فى الانتاج والخدمات . وأشد هذه الكلمات اثارة للرجل الأسود فى أمريكا (اهانة لا يقابلها الا الدم) كلمة نيجريس ، اذ هى الكلمة التى استعملها جميع تجار

الرقيق أثناء المزاد العلنى لبيع هؤلاء البؤساء . وتماثلها على مستوى أقل كلمات : نيجر ، ونيجرا ، واكس سلاف . أما كلمة جيم كرو ، فالدراسات الخاصة بها لم تصل الى اجماع حول أصل الكلمة وهل هى اسم عبد زنجى انتشرت لتدل على جميع من يشبهه فى الوضع والمركز ؟ .. أم هى اسم مكان كان من الأمور التقليدية ان تعيش فيه أو تعمل فيه هذه المجموعة البشرية ؟ .. أم هى اسم قانون صدر فى فترة ما فى الولايات الجنوبية فى عهد مشروعية الرق ؟ .. ومن مجموع هذه الدراسات نصل الى انها صارت تعبيرا عن وضعية اجتماعية ومدنية واقتصادية تقوم على أساس تفرقة عنصرية تستند الى اللون الأسود ، والجنس الزنجى ، ومن ثم فكل من تنطبق عليه هذه الحالة يصير جيم كرو .

ويختلف الكتاب ذوو اللون الأسود حول كلمة نجرو وما يلحق بها من كلمات مثل : امريكان نجرو ، ونجرو أمريكان .. الخ .. وحول كلمة بلاك ، وما يلحق بها من كلمات مماثلة لما سبق . والاختلاف يأتى من محاولة الأجابة على هذا السؤال : هل جميع

أفراد هـذه المجمـوعة البشرية من سـلالات الرقيق الذى عاش تجربة الرق فى الولايات المتحدة . ومن ثم فلهم اسم واحد يتم به التعريف ؟ .. أم ان الولايات المتحدة بها سـلالة هـذه المجموعة البشرية وأيضا بهـا جمـاعات زنجية هاجرت الى أمريكا من أمريكا الوسطى ومن جزر الهند الغربية . فمثلا احصاءات عام ١٩٣٠ تقـرر ان ١٧ ٪ من النجرو مولودون خـارج الولايات المتحدة وانهم مضـافا اليهم عائلاتهم يمثلون ٢٥ ٪ من المجموع العام للنجرو ، والنقطة الاساسية فى المناقشة هى ان الميراث الفكرى والقانونى فى الولايات المتحدة حتى الحرب الأهلية ومابعدها فى فترات متعددة وفى ولايات جنوبية عدة ، يقرران كلمة النجرو تساوى فى المعنى عبد رقيق (سليف) ، وهـذا موجود فى القواميس اللغـوية حتى عام ١٨٢١ ، وهنـاك أحكام صـدرت من المحـاكم فى ولايتى فرجينيـا ، ونورث كارولينا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر تقرر ان النجرو هو العبد الرقيق . ولم يتم هذا الميراث نهائيا حتى اليوم ومن هنا كانت الاعتراضات ..

أضف الى هـذا الاختـلاف حول معنى كلمة نجرو

(زنجى) . هل تدل على الرجـل اسـود اللون ذى التقاطيـع المعينـة والشعر المعين وأوصـاف الجسـد المعينة التى تحدث عنهـا علمـاء الأجناس والجغرافيا البشرية ؟ .. أم هى تدل على الرجـل غير أبيض اللون الذى لا يصـل لون وجهـه وبشرته الى اللون الأبيض المعروف فى شمال أوروبا ؟ .. والنقطـة الأسـاسية فى المناقشة هى ان الاتصـال الجنسى بين الرجـل أبيض اللون والمرأة سوداء اللون قد أنتج أجيـالا عديدة من الخلاسيين . وهؤلاء الخلاسيون يختلفون عن الصـورة التقليـدية التى رسمها علمـاء الأجنـاس والجغرافيا البشرية للجنس الزنجى . واستطرادا وجدت فى اللغة العربية ترتيبا لدرجات ومستويات اللون الأسود مثل الأسمر والأصحم والآدم والأسحم والأدلم ... الخ .. ولقـد دخل ميدان هـذه المناقشة علمـاء أمريكيون مثل هرسكوفتز ، وفرازير (الأول أبيض اللون والثانى أسـود اللون) .. الخ .. والرأى الراجح عندهم ان الخلاسيين يكونون ما لايقل عن ٧٥ ٪ من تعداد هذه المجموعة البشرية حاليا . ويذكر مؤلف كتاب « دور النجرو فى بناء أمريكا » ان الخلاسيين موجودون منذ

زمن طويل فى حياة هذه المجموعة البشرية ويقدم أرقاما لتـأكيـد ما يذهب اليه . فمثـلا فى منتصف القرن التـاسع عشر وجـد ان الخلاسـيين كانوا ٥٨١ فردا من كل ١٠٠٠ عبـد اسـود . ويذهب لوماكس مؤلف ثورة النجرو الى ان هـذه الأرقام تدل على ان هـذه المجموعة البشرية لم تخلق كما هى وانما الذى خلقهـا وصنعهـا تحالف قام بين السـادة البيض والنسـاء الرقيقـات . ومع ان هـذه الحقيقة لا جـدال فيهـا من الوجهـة البيـولوجيـة الا ان لوماكس يرى ان جنـون التعصـب العنصرى دفع الولايات الجنوبيـة الأمريكية الى انفـاق ملايين الدولارات للوصول الى تحديد من هو النجرو . ويضرب مثـلا بولاية فرجينيا التى اسـتقر الرأى فيهـا قبـل عام ١٩١٠ على ان النجرو هو من يجرى فى عروقه مقـدار الربع أو أكثر من الدم ميراثا عن أحـد الجدود النجرو . ولكن بعد عام ١٩١٠ تغير القـانون الى ان النجرو هو من يجرى فى عروقه ١ ÷ ١٦ من الدم ميراثا عن أحـد الجدود النجرو . وفى عام ١٩٣٠ قررت الولاية ان النجرو هو من يجرى فى عروقه أية كمية ولو قدر نقطة واحـدة

من الدم ميراثا عن أحد الجدود النجرو ..

وقد أدت هذه المناقشة الى التساؤل عما اذا كان النجرو هو الافريقى ؟ .. وكان هذا فى فترة تاريخية انتشرت فيها الدعوة للعودة الى افريقيا وروجها البيض المتعصبون وأيدها زنوج عديدون هربا من اليأس والاضطهاد والضياع الذى يعيشون فيه . ولما كانت صورة افريقيا فى ذلك الوقت صورة سيئة كما رسمها المؤلفون البيض وكانت صورة الافريقى هى صورة البدائى المتوحش العارى الوثنى ... الخ .. فقد رفضت فئات عديدة من بين الزنوج الأمريكيين ان يعرفوا أنفسهم باسم افريقى أو افرو أمريكان ... الخ .. وأن يرفضوا كل مشروعات التهجير الجماعى الى افريقيا على الرغم من انشاء ليبريا عام ١٨٢١ ، وجهود الجمعية الأمريكية للاستعمار التى تبنت الدعوة وأبدت استعدادها لتمويل العودة الى افريقيا . والأغلبية التى عارضت دعوة العودة ابتداء من عام ١٨١٦ ، وعام ١٨١٧ ، هى التى بدأت تروج لاستعمال كلمة أمريكى فى التعريف عن نفسها . ولما كان المجتمع الأمريكى فى ذلك الوقت يرفض

رفضا باتا الاعتراف بأن هؤلاء أمريكيون فقـد بدأت تظهر فى الاستعمال كلمات ملون وملونين . ومع ذلك اسـتعملت كلمة « افريقى » فى وصف كنائس النجرو المنفصـلة عن كنـائس البيض ابتـداء من عام ١٧٧٩ بظهور أول كنيسة خاصـة بالنجرو بعد طرد عدد منهم من كنائس البيض

والذى منح كلمات ملون وملونين والشعب الملون.. الخ .. فرصـة الذيوع والانتشـار هو ان الطبقـة البورجوازية سـوداء اللون كانت لأصـلها الخلاسى ولوضعها الاقتصادى الأحسن نسبيا عن باقى المجموعة البشرية سـوداء اللون ، ولاقامتها فى المدينة واشتغالها بالمهن والحرف والخدمات .. هـذه الطبقة البورجوازية رفضت نهائيا أن تصف نفسهـا بالزنجية وبالافريقية ، واستعملت كلمة ملون لتعبر بها عن نفسها . أضف الى هـذا ان الولايات المتحدة منـذ القرن التاسـع عشر عرفت بشكل واضـح دور أقليـات ليست بيضـاء اللون وليست زنجيـة الأصـل ، مثـل اليـابانيين والصينيين والقادمين من المكسيك ... الخ .. وهؤلاء آثروا استعمال وتداول كلمة ملون ومشتقاتها ما داموا

لا يســتطيعون الحصــول على الاقرار بأنهم جزء من الشعب أبيض اللون ، وفى نفس الوقت كانوا يحملون فى تفكيرهم ومواريثهم احتقارا لصفة اللون الأســود وكلمة النجرو. وفى هذا يقرر ايزاكس انكلمة ملون هى وليدة أفكار ورغبات البورجوازية العليا والبورجوازية المتوسطة ســوداء اللون . وتشير دراســة جنرميردال عن النجرو فى أمريكا بأن هــذه الطبقــة البورجوازية كانت تعرف ماجــرى عليــه التقســيم القــانونى فى المستعمرات الفرنسية والأسبانية من التمييز بين الملونين وبين باقى الشعب الزنجى «Gens de couleur» أسود اللون ..

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر دعا توماس فورتشن وهو صــحفى زنجى الى استعمال كلمة افرو أمريكان وعدم استعمال كلمــة نجرو لمــا فيهما من احتقار ومهانة . ولكن بوكر واشنطن دعا الى استعمال كلمــة نجرو . وفى فترة الصراع الفــكرى بين بوكر واشــنطن والدكتور ديبويس رفض الأخير اســتعمال كلمة نجرو واستعمل كلمة بلاك . ولكن على الرغم من ذلك عندما تألفت حركة نياجار فى عام ١٩٠٥ ، بزعامة

الأخير ثم تطورت الى قيام الجمعية القوميـة لتقـدم الملونين عام ١٩٠٩ كتحالف بين الليبراليين بيض اللون والمثقفين الزنوج . استقر الرأى على اسـتعمال كلمة ملون ومشتقاتها ..

وبانتهاء الحـرب العـالمية الأولى ظهـر ماركوس جارفى صاحب الدعوة للعودة الى افريقيا وألف الجمعية العالمية لتقـدم النجرو . وثار نزاع عنيف بين الجمعية القوميـة لتقـدم الملونين والجمعيـة العالمية لتقـدم النجرو . كمـا نشب صراع فكرى حاد بين ماركوس جارفى والدكتور ديبويس وكان من التهم المتبادلة بين الجانبين ان جارفى اتهم ديبـويس بأنه ملون ويقصـد بهـذا تحقيره على أساس ان فى عروقه يجرى دم مختلط غير نقى ، وكان جارفى يشترط فى أعضاء جمعيته النسب الزنجى النقى ويحارب الزواج المختـلط . وفى هـذه الفترة دعا ويليـم فيريس الى التخلص من كل هـذه الكلمات واستعمال كلمة نجرو ساكسون على أسـاس انها تمثل الخلاص من كل سيئات المـاضى وانها تفتح الباب للدخول فى مجموعة الانجلو ـــ ساكسون البيض البروتستانت أقدم مجموعة بيضاء فى الولايات المتحدة

(يشتهرون باسم واسب)

ومع كل هــذا استمرت كلمتــا نَجرو وملون فى طليعة الأســماء التى تطلق وتتــداول للتعريف بهــذه المجمــوعة البشرية . وازداد اســتعمالها بعــد الحرب العالمية الثانية بانتشار وتوسع العمل السياسى من أجل المســاواة فى الحقوق المدنية ، وهــذا يتفق مع كثرة تكوين الجمعيــات والهيئات العاملة فى هذا الميدان ، ولكن نلاحظ ان كلمــة « نجرو » هى التى أصــابها الانتشار والذيوع فى وسائل الاعلام والاتصال الفكرى أكثر من كلمة « ملون » . حتى يمكن القول ان كلمة ملون ومشتقاتها اقتصرت على اسم الجمعية القوميــة لتقدم الملونين فى هذه الفترة . وظهرت كلمة نجرو فى جميع عناوين وأسماء الكتب والدراسات التى ظهرت فى الأعوام الستينيات من هــذا القرن بما فى ذلك الكتب والدراســات التى ألفها الكتاب من الزنوج الامريكيين

وفى ميــدان الفكر اليســارى الامريكى بمختلف شعبه وفئاته وجمــاعاته نجد ان بعضهم يستعمل كلمة نجرو مثل مجلة ديسنت ومجلة نيوبوليتكس ومطبوعات الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى الامريكيين..الخ

وهناك بعض المجلات والمطبوعات تستعمل كلمة « افرو أمريكان » مثل مجلة « فريدم وييز » ، وترفض جماعة أمة الاسلام استعمال هذه الكلمات الثلاث السالفة الذكر، ويستعملون عبارة «المسمى نجرو» و«المسمون بالنجرو » وأحيانا يستعملون كلمة « بلاك » . وبالنسبة للجماعات الصغيرة التى ما زالت تتبع ميراث جارفى أو تعتنق الدين الاسلامى خارج نطاق العضوية والولاء لجماعة أمة الاسلام . نجد استعمال كلمة نجرو وكلمة افرو أمريكان وكلمة بلاك بدون التزام منتظم لكلمة واحدة ، وهناك قلة منهم تستعمل كلمة اتيوبى نقلا عن الانجيل وهؤلاء أتباع الكنائس الارثوذكسية فى امريكا

نصل من هذا العرض الى ان الأزمة ما زالت تعيش فى داخل هذه المجموعة البشرية وان كان الاتجاه العام فى الولايات المتحدة اليوم يستعمل كلمة «نجرو» ، ولقد حاولت مرارا فى أثناء مناقشاتى مع الطلاب سود اللون بالجامعات الامريكية أن أستعمل كلمة أفريكان ، ولكننى باستمرار لاحظت رفضهم لاستعمال الكلمة تعبيرا عنهم ، لأنهم يعتبرونها تعريفا بالطلاب سود اللون القادمين من افريقيا سواء أكانوا من دول افريقية

مستقلة أم كانوا من منـاطق افريقية ما زالت خاضـعة للاستعمار . وأيضا فى الوقت نفسه يرفض الافريقيون باباء وشـمم ان يعرفوا بكلمة نجرو التى يستعملونها للاشارة الى الامريكيين سود اللون ..

وفى هذه الدراسة التى نقدمها باللغة العربيـة سوف نستعمل كلمة أمريكان نجرو وكلمة الزنوج الامريكيين بنفس المعنى للدلالة على هـذه المجمـوعة البشرية . واستعمال هاتين الكلمتين سوف يجعلنا من وقت لآخر نستعمل كلمة أسود ومشتقاتها ..



الفصل الثانى

التاريخ يصنع الأزمة ..

٣٥٠ سنة من الرق إلى الضياع الاجتماعي

يدل الاجمـاع بين الدارسين على ان أول شحنة من الرقيق نزلت على شواطىء ما أصبح بعـد ذلك ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ كان عام ١٦١٩ حين رست سفينة هولنـدية على شـاطىء فرجينيا وباعت عشرين عبـدا من النسـاء والرجال . ثم توالت بعد ذلك شحنات الرقيق . ومع ذلك فقـد أثبتت هـذه الدراسـات ان عـددا من الافريقيين شـاهد أمريكا الشمالية قبل هذا التاريخ فقـد حضر عدد منهم مع بعثـات وجيوش فرنسية وأسبانية ، وكانوا يعملون خدما وأدلاء . ومرجع هذا أن أوروبا عرفت تجـارة

الرقيق الافريقى منذ عام ١٤٤١ ٠ وفى قول آخر قبل عام ١٤٤١ ميلادية

والأرقام تعطينا صورة لنمو أعداد الزنوج فى عهد مشروعية الرقيق وما بعد الغائه حتى اليوم كالآتى :

السنة	عدد الزنوج	عدد البيض
١٧٩٠	٧٥٧ر٢٠٨	٣ر١٧٢ر٠٠٠
١٨٠٠	١ر٠٠٢ر٢٣٧	٤ر٣٠٦ر٤٤٦
١٨٣٠	٢ر٣٢٨ر٦٤٢	١٠ر٥٣٧ر٣٧٨
١٨٥٠	٣ر٦٣٨ر٨٠٨	١٩ر٣٣٥ر٠٦٨
١٨٦٠	٤ر٤٤١ر٨٣٠	٢٦ر٩٢٢ر٢٣٦
١٩٠٠	٨ر٨٣٣ر٩٩٤	٦٦ر٨٠٩ر١٩٦
١٩٢٠	١٠ر٤٦٣ر١٣١	٩٤ر١٢٠ر٣٧٤
١٩٥٠	١٥ر٠٤٢ر٢٨٦	١٣٤ر٩٤٢ر٠٢٨
١٩٦٠	١٨ر٨٧١ر٨٣١	١٥٨ر٨٣١ر٧٣٢

ونلاحظ على هذه الاحصاءات أنهـا تبدأ من عام ١٧٩٠ وهو العـام الذى تم فيه أول احصاء رسمى لسكان الولايات المتحدة الامريكية ٠ والعينة الرقمية تدلنا على أن النسبة المئوية للزنوج فى عام ١٧٩٠ كانت ١٩ر٣ ٪ من مجموع السـكان وأنهـا انخفضت عام

١٨٦٠ الى ١٤٫١ ٪ وتوالى انخفاضها عام ١٩٦٠ الى ١٠ ٪ من المجموع الكلى للسكان الذى يبينه الاحصاء المشار اليه مضافا اليه ١٫٦١٩٫٦١٢ نسمة يسميهم الاحصاء « آخرون » غير النجرو والبيض . واذا كنا نعرف ان نسب المواليد بين النجرو أكثر ارتفاعا من مثيلاتها بين البيض ، فيكون سبب التزايد فى اعداد البيض هو قوانين الهجرة التى تفتح أبواب أمريكا للشعوب الأوروبية وتكاد تقفلها أمام الزنوج والملونين . وهناك ملاحظة أخيرة هى ان احصاء عام ١٧٩٠ يسجل عدد الزنوج بحوالى ثلاثة أرباع المليون ، فيجب أن نعرف ان هذه هى أعداد الأحياء منهم الذين تحملوا كل أنواع الوحشية والتعذيب والاستغلال ولم يموتوا . ودليلنا على هذا أن لويس هاريس وزميله فى كتابهما « ثورة النجرو فى أمريكا » يقولان ان تجارة الرقيق الاوروبية نقلت من شواطىء أفريقيا ٤٠ مليون نسمة فى أغلال الرق ، ويقول مؤلف كتاب « الرأسمالية والرق » ان الرقم يرتفع الى حوالى ٦٠ مليونا ، بينما يرى الدكتور بوسيا ان أفريقيا خسرت حوالى ١٠٠ مليون نسمة تم نقلهم كرقيق

خارجها قبل الكشوف الجغرافية وبعدها وثم تصديرهم الى جميع نواحى العالم

والدراسات الخاصة بمشكلة الزنوج الامريكيين ترى ان جذور المشكلة العويصة انما تمتد الى هذه الفترة ، وفى هـذا يقول الاستاذ ستانلى الكينز فى مؤلفه عن الرق كمشكلة فى التنظيم والحيـاة الامريكية من أنه توجد نقاط تمـاثل بين معسكرات الاعتقـال النازية وآثارها العميقة فى تغيير شخصيات المعتقلين الذين أفرج عنهم منها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبين الطرق والأوضـاع التى أكلت شخصية الزنجى القـادم من افريقيا وخلفت بدلا منها شخصية النجرو الموجـود فى الولايات المتحدة والمولود على أرضها • ويقول أنه فى الاطار العام تتماثل التجـربتان فى أن الفـرد الأسود الأمريكى صار طفلا مهما تقدم به السن ويعيش عالة على المبادءة من الفرد الأبيض فى العمل والحيـاة والعيش والتنظيم والقيادة والتوجيـه ، انه فى طفولته النفسية والعقلية ونضوجه فى العمر والبناء الجسدى يشـبه الذين خرجوا من المعتقلات النازية . ويضيف ان النجرو الأمريكى خضع لنظـام حطم طموحـه وقتـل ذاتيته

وشخصيته وانتزع ذكاءه لمدة ٣٥٠ عاما باستمرار

ولقد دعا هذا الاستاذ سيلبرمان مؤلف كتاب « أزمة الأسود والأبيض » الى مناقشة هذه النقطة بحثا عن اجابة السؤال التالى : ماذا حوّل هذا الافريقى الشجاع الى هذا العبد المستسلم الخاضع الذليل ؟.. ولهذا ناقش أوضاع افريقيا قبل هجوم تجار الرقيق الاوروبيين وعرض تاريخ الاسلام وتاريخ الدول والممالك غير الاسلامية أيضا وأثبت ان المتعلمين والشجعان والرجال والقواد والاداريين كانوا اعدادا وفيرة فى هذه البلاد والمناطق . فما ان اقتنصهم تجار الرقيق وحملوهم على السفن عبر المحيط وباعوهم فى جزر البحر الكاريبى وسواحل الولايات المتحدة حتى اختفت شخصياتهم وحل محلها هذا النمط المعروف فى التاريخ الأمريكى .. ويجمل الأسباب فيما يلى :

١ ـ ان تجارة الرقيق قد عزلت القنيصة عزلا جذريا عن ينابيع حياته الثقافية والاجتماعية وعن التنظيمات والمؤسسات التى عاش فى ظلها واكتسبت منها خطوط هذه الشخصية القوية على أرض القارة الافريقية . وقد أدى هذا العزل الى تحطيم كامل لكل أحاسيسه بالذات

والكيان . أضف الى هذا آثار وآلام الرحلة الطويلة التى قطعها من الشاطىء الافريقى الى الشاطىء الإمريكى ، وهناك مؤلفات عديدة تصف هذه الرحلة مثل « الشحنات السوداء عبر الاطلنطى » تأليف دانيل مانيكس الذى يقرر ان الرحلة كانت تستغرق شهورا طويلة على سفن شراعية ويكدس العبيد فى مناطقها السفلى مكبلين بالأغلال وبدون أية رعاية غذائية أو صحية وبدون اعتبار لحاجاتهم الانسانية نساء ورجالا وأطفالا . وفوق هذا يضربون بالسياط وتكوى أجسادهم، وأحيانا اذا تذمروا أو أثاروا جلبة تلقى أعداد منهم فى مياه المحيط ... الخ . ومن هذه الحقائق يصل المؤلف الى ان بذرة اليأس والضياع نبتت فى نفوس العبيد وأيقنوا انه لا مخرج ولا مهرب وانما الاستسلام المطلق ..

٢ ــ ان هذا العبد منذ أن يتسلمه تاجر الرقيق الاوروبى حتى يبيعه لا يعيش الا فيما يشبه حظائر المواشى أو معسكرات الاعتقال ، فالتعذيب مستمر والخوف هو المناخ السائد الذى يتنفسه الجميع ويستنشقونه صباح مساء ، وعملية نقله من مكان لآخر

هى العذاب المر لأنه لا يعرف المجهول الذى ينقلونه اليه • وبمرور الأيام أصبحت عملية الانتقال من مكان لآخر لا تعنى عند العبيد أى أمل أو شعاع من أمل ، بل هى موت جديد أو طريق الى وضع جديد أقسى وأمر من الموت والعذاب الذى يعيش فيه

٣ ـ خلال هذه الرحلة يضيع اسمه ويتحول الى رقم أو عدد • ولقد تطرق الى هذه النقطة أساتذة الدراسات النفسية فقالوا ان تحول الفرد من انسان له اسم ونسب وكيان متميز وشخصية مُعَرَّفة الى رقم معناه الموت، لأنه أصبح جزءا أو قطعة من مجموعة لا كيان لها ولا اسم ولا تاريخ ولا حاضر ولا ماضى ولا مستقبل ... وهذا ماحدث للرقيق الافريقى فقد ألغيت اسماؤهم واصبحوا مجرد أرقام حتى نزلوا على الشاطىء الامريكى حيث اشتراهم السادة البيض فى المزاد العلنى كمجرد أرقام أو أعداد ، ثم نقلوا الى المزارع والحقول حيث منحوا أسماء بواسطة سادتهم الجدد . واستطرادا نشير الى انجماعة أمة الاسلام تطلب من أعضائها بمجـرد الانضواء فى صفوفها أن يخلعوا عن أنفسهم أسماء العبودية والرق التى وسمهم بها السادة البيض وأن يتخـذوا لأنفسهم

أسماء جديدة مثل مالكولم اكس (X)

٤ ـ فى الولايات المتحـدة تلاشت نهائيـا كل آثار وعلاقات افريقيا التى حملها هـؤلاء الرقيق معهم الى الشاطىء الامريكى • فقد تركوا دياناتهم واعتنقوا ديانة البيض الانجلو ساكسون أو غيرهم من الأوروبيين : وتركوا أسماءهم وحملوا أسماء السادة ، ونسوا لغاتهم وتكلموا لغة السادة ، وماتت أغانيهم وثقافاتهم وعاداتهم وتقاليـدهم • وتحولوا كما يقـول البعض الى سامبو ووضعيه سامبو وعقلية سامبو • وفى هذا يقول فرازير ان الميراث الاجتماعى الافـريقى الزنجى تحطم وتلاشى نهائيا فى الولايات المتحدة ، وان نماذج الثقافة الزنجية الحالية انما هى نتيجة تفاعل وتزاوج جميع العنـاصر التى صنعت المجتمع الأمريكى المعاصر • وان النجرو انقطع نهائيا عن حياته وتقاليده وتاريخه الافريقى وضاع بفعل الزمن وسيطرة سادة الولايات الجنوبية الامريكية كل ما تبقى ، وان الدنيا الموجودة فى الولايات المتحدة والتى يسمونها دنيا حياة النجرو ليس لها أى أسـاس أفريقى بالمرة • وكان فرازير فى هذا يعـارض ما قاله هرسكوفتز من انه وجد صفات وخصائص اجتماعية

زنجية ما زالت فى حياة وثقافة النجرو الامريكى وان هذه الصفات والخصائص لها أصول أفريقية . وقد قرر هرسكوفتز بعد هذا ان هذه الخصائص والآثار قليلة العدد وليس من اليسير رؤيتها واكتشافها وتحقيقها الا للمتخصص فى هذا الميدان من الدراسات الاجتماعية

٥ ـ عاش الرقيق فى نظام مغلق ليس له باب يمنح الأمل أو يعطى الثقة فى يوم من الايام تتغير فيه أحوالهم. فقد نُظِّمت السلطة فى هذا النظام من أعلى الى أسفل ، وليس له فيه كيان أو وجود من ناحية الحقوق أو اثبات الذات . فللسيد حقوق اغتصاب زوجة الرجل الرقيق أو ابنته كيفما يشاء ووقت ان يشاء ولو كان أبوها او زوجها واقفا على رأسها ، وليست هناك على هذا العبد عقوبات اذا مارس علاقة زنا مع امرأة سوداء أخرى أو تزوج بأكثر من زوجة .. الخ . وبهذا التنظيم القانونى الفكرى أصبح الرق نظاما أبديا لا نهاية له . واستطرادا من هذه النقطة وجدت دراسات تعقد المقارنات بين نظام الرق تحت الحكم الاسبانى ونظام الرق تحت الحكم الانجلو ــ سكسونى . ومرجع هذا الى آثار الحياة الافريقية وما بها من عادات وتقاليد وأديان ما زالت

موجودة فى امريكا اللاتينية التى خضعت للحكم الاسبانى واعتنقت الكاثولكية بينما انقرضت هذه الآثار نهائيا فى الولايات المتحـدة التى عاشت طبقـا لمفاهيم وقيم الانجلو ـ ساكسون واعتنقت الديانة البروتستانتية

٦ ـ على أرض المجتمع الأمريـكى أصبحت تربية الرقيق مثل تربية المواشى والدواجن ، تتم فى حظـائر خصصت لهذا الغرض ، فقـد ذكر مؤلف كتاب ثورة الزنوج فى أمريكا ان حظائر تربية الزنوج انتشرت على أساس المحافظة على صحة بعض الرجال الزنوج الذين يمارسون دورا شبيها بدور الثيران المخصصة لتحسين النسل ثم تترك لهم حرية الاتصال الجنسى مع النساء حتى اذا حملن منع الرجال عنهن حتى يضعن أولادهن ، ويربى الأطفال حتى سن معينة ثم يفصلن عن أمهاتهن ويرسلن الى المزاد العلنى • ويعود الرجال من جـديد للاتصال الجنسى بالنساء • ويروى المؤلفان أنه فى الفترة ما بين الحمل والوضع كان من التقاليد الشائعة بين ملاك الرقيق أن يتمتعن بأجساد النساء ، ويعبران عن هـذا بأنه كان نوعا من الرياضة المستحبة . واستطرادا سوف نجد آثار هذا فى تكوين فئات الخـلاسيين وفى الآثار

الهدامة فى البنيان الأسرى وانهيار علاقات ودور الأب والأم فى الأسرة الزنجية

٧ـ ان حصيلة هذه السنين الطويلة التى تقرب من أربعـة قرون هى ان الرق صار مرتبطا بالجنس واللون الأسود • وصار الجنس واللون الأسود مرتبطا بوضعية الدونية والتحتية والوضاعة واندمج الاثنان فى الفـكر الأمريكى والقيم الشعبية المتداولة فى هـذا المجتمع فأصبح الأسود وضيعا حقـيرا مكانه فى قاع المجتمع ، وأصبح الوضيع الحقـير الذى يعيش فى قاع المجتمع ومراتبه السفلى هو الأسود

الليل فى الجنوب والشمس فى الشمال

خلال الفترة التاريخية التى تمتد منذ تنظيم المجتمع الامريكى على أساس عمل الرقيق الى بداية القـرن التاسع عشر ـ بدأ ينمو بين الرقيق احساس بأن ليل الاستعباد والضياع يكمن فىالجنوب بتركيبه الاجتماعى والاقتصادى ، وان رياح الأمل وشمس الصباح انمـا هى فى الشمال . وقد ظهر نمو هذا الاحساس فى فترة حرب الاستقلال الامريكية واصدار الدستور الامريكى

الفيدرالى بعدها ، ولهذا نلاحظ ان النصف الأول من القرن التاسع عشر قبل نشوب الحرب الأهلية الامريكية شهد نشاطا كبيرا بشأن قضية الرقيق والدعوة لالغاء الرق ..

وان هذا الوهم الكبير الذى تسلط على عقول الرقيق وانتشر فى أوساطهم ، مرجعه الى أسباب كثيرة أدى تراكمها البطىء على فترات زمنية طويلة الى تحول هذا الاحساس الى نوع من الايمان ، وفى مقدمة هذه الأسباب ان بعض الجماعات الدينية فى الشمال الشرقى كانت ترى ان الإيمان بالمسيحية يتعارض مع استرقاق البشر أصلا ، وكانت بعض الجماعات الأخرى ترى ان قيد الرق يجب أن يسقط باعتناق المسيحية ، وهذه الجماعات الصغيرة والمنشقة كانت تعمل فى بعض الولايات الشمالية وقد ساعدت عددا من الخلاسيين والزنوج الذين قطنوا هذه المناطق بالتعليم واكتساب الخبرة الحرفية . ومن الأسباب الهامة فى هذا المجال دور الخلاسيين والزنوج المقيمين فى الشمال والشرق ، فمع هذه العواطف الدينية والانسانية النبيلة الا أنهم أحسوا أنها ما زالت على نطاق فردي أو نطاق ضيق ،

لذلك اسهموا مرارا فى عمليات تهريب وترحيل للزنوج من الجنوب الى الشمال ، وتعاونوا فى هذا مع مجموعات من البيض اشتهروا باسم دعاة الغاء الرق • وأشهر هذه العمليات التى ظهرت قبل الحرب الأهلية الامريكية هى ما أطلق عليها سكة الحديد السرية « تحت الأرض » التى بموجبها تبدأ عمليات التهريب من الجنوب والولايات الواقعة بين الشمال وأقصى الجنوب الى شمال الولايات المتحدة أو الى كندا ، ويذكر جنر ميردال انه خلال الأربعين سنة التى سبقت الحرب الأهلية هرب ٧٥ ألف زنجى من الجنوب الى الشمال الأمريكى وكندا

ومن بين هذه الاسباب أيضا ان الدارسين قدحصروا حتى اليوم حدوث ٢٥٠ ثورة زنجية فى الجنوب ، وأن هذه الثورات أخمدت بكل قسوة وعنف لم يسمع لها التاريخ مثيلا الا فى معاملات الشعوب والقبائل البدائية غير المتحضرة • وان آثار اخماد هذه الثورات ولد الخوف القاتل فى نفوس البيض واليأس المطلق فى نفوس الزنوج • لذلك فكر كثيرون فى الهرب نهائيا من الجنوب حيث لا أمل فى البقاء وحيث لا أمل فى التغيير • ومن ناحية أخرى كانت الاقامة فى الشمال تعرض وضعا

اقتصاديا أحسن نسبيا عما يجرى عليه الوضع فى الجنوب

وأهم هـذه الأسباب هى نشوب حرب الاستقلال الأمريكية ، فقـد ملأت الجـو العام أفكار الحـرية والاستقلال والديموقراطية • ولم يتقاعس الزنوج عن الاسهام فى المعركة ، فكتب التاريخ تثبت ان كريسبوس أتيكوس الزنجى كان أول من قتله الجنود البريطانيون فى مظاهرة بوسطون الشهيرة يوم ٥ مارس ١٧٧٠ • ومع تطورات القتال بين الامريكيين والجيوش البريطانية ظهر دور الزنوج فى المعركة . فلقد حاولت القيادة البريطانية اثارتهم ضد سادتهم البيض • كما أن فرقا منهم أسهمت فى الحرب بجانب الامريكيين فى البر والبحر • ولقد كان موقف الامريكيين فى أول الأمر هو رفض تجنيد الزنوج للقتال ضد البريطانيين ، ولكن طول مدة الحرب والشعور بتبعات الموقف الثقيلة أدى الى تحديد حصة لكل ولاية عليها ان تقدمها من الافراد للانضمام للجيوش الامريكية. وقد وافقت الولايات على تجنيد النجرو بدلا من الأفراد بيض اللون وذلك فيما عـدا ولايتى جورجيا وسوث كارولينا اللتين تخوفتا من آثار اعلانات الحـرية التى اصـدرها الثوار الامريكيون . وتحتوى الدراسـات

الخاصة بهذه الفترة بيانات متنوعة عن اسهام الزنوج في الحرب واعدادهم وأسماء من أظهروا البطولات أو قتلوا في الحرب • واستطرادا نذكر ان عددا من الزنوج انضموا الى القوات البريطانية أثناء الحرب على أساس انوعود البريطانية بالتحرير من الرق • وعند عقد الصلح النهائى بين الجانبين تمسك البريطانيون بعدم اعادة الزنوج الذين تعاونوا معهم وبعد ذلك قاموا بترحيلهم الى خارج أمريكا خاصة الى سيراليون وغيرها من المستعمرات الانجليزية

وفى الفترة التى تلت انتهاء الحرب شهدت أمريكا معركة صياغة الدستور الأمريكى ، وقد صدم الزنوج والرقيق صدمة عنيفة اذ تمخضت المعركة عن بقاء الأوضاع على ما هى عليه • فلم يحتو الدستور على أى اشارة لكلمة نجرو أو كلمة رقيق ، كأنما لا يعرف المجتمع الامريكى هاتين الكلمتين ولا يحس بآثار وجود نظام الرقيق والأفراد سود اللون • وفشلت كل الجهود للنص على الغاء الرق فى الدستور • بل أكثر من هذا احتوى الدستور على ثلاث مواد تختص أولاها بالأشخاص الملزمين بالخدمة أو العمل فى ولاية ما بمقتضى قوانينها ، وان هؤلاء الأشخاص اذا فروا الى ولاية أخرى لايعفون

من الخدمة أو العمل تطبيقا لقوانين الولاية الأخرى أو نظمها ، بل يجب تسليمهم بنـاء على طلب الولاية الى الجـانب الذى يجب أن يؤدى فيه عمله أو خـدمته (الفقرة الثانية من المادة الرابعة) وتنص الثانية على أن عدد النواب يوزع بين الولايات المختلفة المنضمة الى الاتحاد بنسبة عدد سكان كل منها ، وسيقدر بأن يضاف الى مجموع السـكان الأحرار ثلاثة أخمـاس جميع الأشخاص الأخرى ، ولم يوضح الدستور من هم هؤلاء الاشخاص ولم يعين لهم اسما او تعريفا (الفقرة الثانية من المـادة الأولى) وتنص الثالثة على أن الكونجرس الأمريكى لا يمنع أى ولاية أمريكيـة من اسـتيراد او استقدام أشخاص غير المهاجرين اذا ارتأت ذلك وذلك لمدة عشرين سنة من وضع الدستور عام ١٧٧٨ حتى عام ١٨٠٨ (الفقرة التاسعة من المادة الأولى)

وتأثير هذه المعركة انعكس على نشاط دعاة الغـاء الرق فى الولايات المتحدة ونشاط عمليات تهريب الرقيق من الجنوب الى كنـدا خارج سلطان نصوص هـذا الدستور الفيدرالى . وقد أدى تزايد هذا النشاط الى اصدار قرار من الكونجرس عام ١٨٠٧ بعدم مشروعية

التجارة الخارجية فى الرقيق ابتداء من يناير عام ١٨٠٨ وقد انصب القرار على التجارة الخارجيـة الخاصـة باستيراد الرقيق الى موانى الولايات المتحـدة . وأما التجارة الداخلية فى الولايات فقـد استمرت بواسـطة تجار يحملون رخصا قانونية وأصبحت مدينةنيوأورليانز هى المركز الرئيسى للبيع بالمزاد العلنى فى الجنـوب . ويقدر أحد الدارسين ان التجارة الداخلية فى الرقيق من عام ١٨٢٠ الى عام ١٩٦٠ تعاملت فى ٧٥٠٠ زنجى رقيق سنويا . وعلى الجانب الآخر لم يستسلم السادة بيص اللون اصحاب المزارع والمصـالح فى الجنوب لقـرار الكونجرس بل حاولوا مرارا الحصول على قرار بالغائه على أساس عدم دستوريته من المحكمة الفيدرالية أو الضغط على الكونجرس لإعادة النظر فى قراره سالف الذكر . وكانت أشهر هذه المحاولات عام ١٨٥٠ أمام المحكمة الفيدرالية العليا

وفى هذه الفترة ظهر نشاط ودور الخلاسيين والزنوج المتحررين من الرق فى مدن الشمال والولايات الواقعة خارج نطاق الجنوب الزراعى . وتأثروا كثيرا بأخبـار ثورات الزنوج فى منطقة البحر الكاريبى وثورة هاييتى

وقيادة توسان الفاتح فى أغسطس ١٧٩١ وهزيمة جيوش فرنسا واسبانيا وبريطانيا عام ١٨٠١ ثم اعلان استقلال أول جمهورية زنجيـة فى ٣١ ديسمبر ١٨٠٣ . ويذكر كوارليز مؤلف دور النجرو فى بناء امريكا انه فى هذه الفترة لم يكن كل الزنوج عبيدا ففى عام ١٨٥١ كان فيه ٥٨١ خلاسيا من كل ١٠٠٠ فرد أسـود اللون فى داخل مجموعة الزنوج المتحررين من الرق بينما كان فيه ٨٣ خلاسيا من كل ١٠٠٠ فرد أسود اللون فى داخـل مجموعة الزنوج الرقيق ، ويذكر أيضا انه فى عام ١٨٦٠ كان بالولايات المتحدة ٤٨٨ر٠٧٠ من الزنوج المتحررين من الرق يمثلون ١١ ٪ من اجمـالى تعداد الزنوج بالولايات المتحدة ، ويذكر فرازير فى كتابه عن النجرو بالولايات المتحدة ان عدد الزنوج المتحررين من الرق عام ١٧٩٠ بلغ ٥٩ر٥٥٧ فرد وفى عام ١٨٦٠ وصـل عددهم الى ٤٨٨ر٠٧٠ وانهم بهذا كانوا يمثلون ١٢ر٣ ٪ من اجمالى تعداد الزنوج عام ١٨٦٠

وظهور هذه الفئة من الزنوج والخلاسيين المتحررين من الرق لم يمنحهم وضعا قانونيـا مسـاويا للمواطن أبيض اللون ، فقد كانت هناك قيود وضوابط قانونية

شديدة على نشاطهم وحياتهم من أمثلتها عدم توظيفهم فى وظائف عامة وعدم قبول شهادتهم فى المحاكم وعدم السماح لهم بحمل الاسلحة أو استعمالها وعدم السماح لهم بشراء الخمور من المحال العامة . وكانت أغلبيتهم فى الجنوب تعمل فى الحرف الصغيرة وتربية الماشية ، وان كانت بعض المصادر تذكر ان قلة منهم وصلت الى مستويات الثراء بامتلاك الأرض والرقيق أيضا ، وبالنسبة للشمال كانت القيود أخف نسبيا مما فى الجنوب ومع ذلك فلم يكن لهم حق التصويت فى الانتخابات بمختلف درجاتها وقيدت حركات انتقالهم الى الولايات المتحدة الأخرى ، وكانت هناك وظائف معينة يمنعهم القانون من شغلها

وفى هذه الفترة تداولت كلمة « جيم كرو » فأصبحت منذ عام ١٨٣٨ علما على كل شخص أسود اللون فى الحياة العامة وفى المسارح والمؤلفات بجوار ما سبقها من كلمات متداولة أخرى . وقد حدث فى عام ١٧٨٧ أن رفض الحضور بيض اللون فى أحد الكنائس الاستماع الى قسيس أسود اللون يلقى موعظة الصلاة وطردوه من الكنيسة ، فخرج وانضم اليه بعض زملائه وكونوا أول

كنيسة منفصلة وسماها الكنيسة الافريقيـة الحـرة . وتتابع انشاء الكنائس المستقلة للزنوج ، وعند مصدر آخر أن الكنائس الافريقية المستقلة للزنوج الامريكيين بدأت تظهر فى الفترة ما بين عام ١٧٧٣ وعام ١٧٧٥ . وما زال الانقسام فى الكنائس موجودا حتى اليوم فقد ذكر لويس هاريس فى كتابه ثورة النجرو فى أمريكا انه فى عام ١٩٦٣ وجد ان بالولايات المتحدة ٥٥ ألفا من الكنائس للزنوج مقابل ٢٦٥ ألفا من الكنائس للبيض وان كنائس الزنوج تنقسم الى ٦٥ ٪ تتبع البابتيست و ٢٢ ٪ تتبع الميثوديست ، ويتوزع الباقى بين الديانات المتعددة فى الولايات المتحدة

ولقد وجدت أن أغلبية الدراسات الخاصة بالتكوين السيكولوجى للنجرو ومواريث هذا التكوين تهتم بهذه الفترة وآثارها فى تكوين نفسية الزنجى الأمريكى . وترى هذه الدراسات ان نظام المزارع الكبرى والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التى تولدت عنهـا وعلاقات السلطة ودور طبقات الملاك الزراعيين البيض ــ قد خلق انماطا من السلوك وردود الفعـل السيكولوجية وخلق اطارا اخلاقيا وتصـورات وقيما ومثلا وقيمة هـذه

الدراســات انهم استخدموها لتفســير وشرح مواقف الزنوج الأمريكيين واتجــاهاتهم الفكرية والســلوكية وانماط حياتهم وعلاقاتهم بعد الحرب الاهلية الامريكية وصدور قانون الرق فى الولايات المتحــدة • وسوف نناقش هذه النقطة فيما يلى من الدراسة

الحرب الاهلية صراع بين البيض

فى كل الدراسات التى رجعت اليها تبينت آثار الحرب الاهلية فى تعقيدات والتواءات مشكلة الزنوج الامريكيين. ان أحداث ما بعد الحرب وتطــورات الحياة الامريكية حتى اليوم تؤكد ان الحرب الاهلية ما كانت الا صراعا بين فئتين من الامريكيين بيض اللون لأسباب اقتصادية حديثة وأســباب تاريخية اجتماعية قديمة ، وان قضية النجرو قد دخلت فى المعركة بدون أن يؤخذ رأى هؤلاء الزنوج وبدون ان يعرف أحد ماذا يريدون ، ولهذا يجمع الدارسون على ان النجــرو لم يحرروا أنفسهم وانما حررهم غيرهم ، ولذا فهم اليوم ليسوا الا نتاج صراع بين فئتين من بيض اللون ، وكلتــا الفئتين لم تؤمنا بمساواة الابيض بأسود اللون . ففى عام ١٥٨٧

أعلن رئيس القضاة فى المحكمة الفيدرالية العليا بأن النجرو ليست له حقوق فى هذه البلاد حتى يحترمها الرجل أبيض اللون • وفى عام ١٨٥٨ خطب الرئيس لينكولن فقال :

« لست فى صف القائلين بالمساواة بين الجنس الأبيض والجنس الأسود ، فهناك اختلاف طبيعى بين الجنسين يمنعهما من العيش سويا فى المجتمع على قدم المساواة السياسية والاجتماعية ، وطالما يعيش الجنس الأبيض والجنس الأسود فى المجتمع معا فلابد أن يحتل أحد الجنسين المركز الأعلى ويحتل الجنس الآخر المركز الأدنى •• وأنا فى صف المحافظة على المركز الأعلى للجنس الأبيض »

ولذا يؤكد سلبرمان بأن اعلان الغاء الرق حرر الرقيق وتجاهل النجرو كفرد ومواطن ، وان لينكولن وصل الى هذا القرار بعد تردد شديد ولأسباب تكتيكية خاصة بتطورات الحرب والصراع بين الشمال والجنوب . وانه كان يؤمن بأن هذا القرار سوف يدفع الزنوج الى العودة لافريقيا حلا لمشاكلهم . وانه فى أثناء فترة القتال فكر فى وضع خطة لاعادتهم وتهجيرهم

نهائيا الى افريقيا ، ولكن ظروف الحرب منعته من اعداد الخطة اعدادا نهائيا وأنه تركها حتى تنتهى الحرب . ويجمل المؤلف قوله فى أن لينكولن وباقى دعاة الغاء الرق فشلوا فى فهم أبعاد المشكلة . لأنهم لم يروها مشكلة اجتماعية اقتصادية سياسية ثقافية فى الحياة الامريكية ، انما رأوها تجريدا أخلاقيا ومثاليات مسيحية انسانية ..

ويؤكد جنرميردال فى دراسته عن « مشكلة النجرو معضلة امريكية» بأن تحرير الرقيق لم يرتبط بأية تغيير فى عقلية الرجل أبيض اللون ، بل فرض هذا القرار على الجنوب اثر هزيمته فى الحرب الاهلية ، ولكن الجنوب حارب ضد هذا القرار فكريا وتنظيميا وقانونيا . وظل أهل الجنوب متمسكين برفض قبول المساواة والجلوس وتناول الطعام مع خدمهم السابقين ، وحرموا على نسائهم الاتصال الجنسى بالأسود أو الزواج منه . ويقرر جنرميردال ان التحريم انصب أساسا على العلاقات الشخصية المتبادلة بين اسود اللون وأبيض اللون . ولهذا يقول لوماكس ان الشمال كسب الحرب وخسر السلم ، وان الزنوج خرجوا من المعركة الدامية

صفر اليدين . ويزيد كوارليز بأن لينكولن حاول تحرير الرقيق بالتعويض المالى وتهجيرهم الى افريقيا أو أمريكا الوسطى أو جزر البحر الكاريبى ، وان قرار تحرير الرقيق تأخر صدوره حتى يوم ٢٢ سبتمبر ١٨٦٢ على ان يكون نافذ المفعول على جميع الرقيق فى الولايات المتحدة يوم أول يناير ١٨٦٣ ، وانه فى نهاية الحرب الأهلية كان الملونون (غير بيض اللون) يمثلون حوالى ١٠٪ من مجموع المحاربين فى كلا الجانبين . ويذكر نفس المؤلف اثباتا على أفكار لينكولن الخاصة باعادة الزنوج الى افريقيا أن الكونجرس منح الجمعية الأمريكية للاستعمار وهى التى تبنت فكرة العودة الى افريقيا ــ منحها ــ ١٠٠ ألف دولار مساعدة على تحقيق أهدافها ، وهذا بجانب ماحصلت عليه من أرصدة كثيرة تبرع بها الأثرياء بيض اللون ومؤسساتهم المالية والتجارية والصناعية

وبدون أن نخوض فى أسباب الحرب الأهلية التى ينكر كثيرون اليوم من أنها قامت بسبب الرق . نقول ان انتهاء الحرب الأهلية أوجد فى المجتمع الأمريكى موضوعين للمناقشة . وأول هذين الموضوعين هو

صدور التعديلات الدستورية المعروفة باسم التعديل ١٣ والتعديل ١٤ والتعديل ١٥ . وهى تنص على الآتى :

المادة ١٣ : « لايباح الرق ولا السخرة فى الولايات المتحدة أو فى منطقة خاضعة لسلطانها الا كعقاب على جرم وقع على مقترفه بعد ادانته ، وللكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة باصدار التشريع اللازم »

المادة ١٤ : « جميع الاشخاص الذين يولدون فى الولايات المتحدة أو يصبحون من مواطنيها ويخضعون لسلطانها ، هم مواطنون للولايات المتحدة وللولاية التى يعيشون فيها ، ولا يحل لولاية أن تضع قانونا من شأنه أن ينتقص من المزايا والحصانات التى يتمتع بها مواطنو الولايات المتحدة ، ولا يحل لأية ولاية أن تحرم شخصا الحياة أو الحرية أو الممتلكات بدون تطبيق القانون تطبيقا كاملا ، ولا يحق لها أن تحرم أحدا خاضعا لسلطانها من المساواة فى الحماية أمام القوانين ..

. . . .

يقتسم النواب بين الولايات المختلفة ، بنسبة عدد سكان كل ولاية ، بعد احصاء عدد جميع السكان فى كل ولاية ، باستثناء الهنود من غير دافعى الضرائب . .

ولكن اذا أنكر حق الاقتراع فى أى انتخاب سـواء لاختيار ناخبى رئيس الولايات المتحدة أو نائب الرئيس أو لاختيار النواب فى الكونجرس أو الموظفين التنفيذيين أو القضائيين فى ولاية ما ، أو أعضاء المجالس التشريعية لها ، اذا أنكر حق الاقتراع على أى من الذكور من سكان مثل هـذه الولاية الذين يكونون قد بلغوا الحادية والعشرين من عمرهم وهم مواطنون للولايات المتحدة ، أو اذا انتقص من هذا الحق بكيفية ما الا فى حالات الاشتراك فى عصيان أو فى جريمة أخرى ، فان أساس التمثيل فى الولاية يجب خفضه بنسبة مايكون هناك من تأثير لعدد مثل هؤلاء المواطنين الذكور فى مجموع عدد المواطنين الذكور الذين بلغوا الحـادية والعشرين من عمرهم فى مثل هذه الولاية

... ... تكون للكونجرس سلطة تنفيذ نصـوص هذه المادة بالتشريع اللازم »

المادة ١٥ : « لاتنكر الولايات المتحدة ولا ولاية من الولايات على مواطن للولايات المتحدة حق الاقتراع ، ولا تنتقص منه بسبب الجنس أو اللون أو لأن المواطن كان عبدا

للكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة بالتشريع اللازم »

والموضوع الثانى هو تنفيذ هذه التعديلات وذلك عن طريق ارسالها الى الولايات لاقرارها طبقا لنص الدستور الفيدرالى ، وما يترتب على هذا من تعديلات فى دساتير الولايات وقوانينها . وهذه الفترة التاريخية فى حياة الولايات المتحدة تعرف باسم « فترة اعادة بناء الجنوب » وفى اختصار مفيد وبدون أن نخرج عن هذه الدراسة الخاصة تتلخص فى أن جميع الولايات الجنوبية التى حاربت ضد الشمال رفضت التعديلات خاصة التعديل ١٤ عام ١٨٦٦ والتعديل ١٥ عام ١٨٦٩ ولذلك قرر الحزب الجمهورى الحاكم والذى كان يتمتع بالسيطرة على الكونجرس ان يفرض الحكم العسكرى على هذه الولايات وان يحكمها القواد العسكريون للجيش المنتصر . وهذا يمهد لاعادة بناء الحكومات الاقليمية فى الولايات بواسطة اعادة التنظيم والتسجيل فى دفاتر قيد الناخبين بما فى ذلك قيد الناخبين الزنوج . وبعد هذا تجرى الانتخابات لتكوين الجمعيات التشريعية فى الولايات التى تعدل مايلزم من مواد

الدساتير القائمة ومن نصوص التشريعات السارية ، وتنتخب المسئولين الجدد فى الولايات . فاذا تم كل هذا بنجاح أمكن انهاء الاجراءات الاستثنائية باعادة قبول هذه الولايات فى الاتحاد الأمريكى وقبول عضوية ممثليها فى الكونجرس « المجلس الفيدرالى »

وبجوار هذا أصدر الكونجرس تشريعا بمقتضاه ينشأ تنظيم أو ادارة ترعى شئون الرقيق المتحرر من الرق ، وتشرف على شئون الأرض الزراعية التى هجرها أصحابها أو أصبحت بدون مالك معروف ، وتقدم خدمات صحية ورعاية طبية وتعليمية واسكانية لهؤلاء المتحررين من الرق ، كما تقوم بتوزيع الاراضى المصادرة نتيجة اجراءات الحرب الأهلية وتبنى المدارس للنجرو المتحررين من الرق .. الخ . ونشاط هذه الادارة يمتد الى جميع مناطق الولايات التى حاربت ضد الشمال فى الحرب الأهلية . وقد نشأت تعقيدات دستورية متعددة خلال هذه الفترة نذكر من بينها أن رئيس الجمهورية اعترض على توقيع قرار الكونجرس الخاص بالتعديل ١٤ والقوانين الخاصة باقرار الحريات للزنوج الأمريكيين ، فكان ان اجتمع الكونجرس مرة

ثانية وأقر التعديل بأغلبية خاصة طبقا لنص الدستور الاتحـادى وحتى يصبح القرار سـاريا بدون توقيع الرئيس ، وكذلك قوانين اعادة بناء الجنوب

وفى خلال هذه الفترة يقرر لوماكس (مؤلف زنجى) وجنرميردال وسلبرمان (مؤلفان أبيضـا اللون) ان المحالفات السـياسية التى ظهرت والصراعات الفكرية وجماعات الضغط والمناورات السياسية فى الكونجرس وفى الأداة التنفيذية وفى الشمال وفى الجنوب ... كل هذا كان يتم بين البيض ولم يكن للنجـرو أى دور قيادى فى كل هذه الاجراءات . بل يذهب جنرميردال الى القول بأنه بعـد مرور عشرين سـنة من الحرب الاهلية وخلال ما اطلق عليه «عهد اعادة بناء الجنوب» ــ اكتشف الزنوج الأمريكيون انهم لن يتحرروا وأنهم مازالوا في حيـاة الجهل والعبودية والتبعية وانهم لم ينتقلوا الى طبقات الملاك ولايزاولون حرفة أو يعرفون صنعة ــ انما مصيرهم هو الموت نتيجة للحاجة والفاقة والمرض ..

وبدون أن نسترسل فى تطورات التاريخ الأمريكى نقرر أنه فى انتخـابات رئيس الجمهورية عام ١٨٧٦

ظهر انقسام الحزب الجمهورى حول الاستمرار فى هذه السياسة التى تبناها الحزب منذ لينكولن وبعد مصرعه تجاه الجنوب واعادة تنظيم بنائه الحكومى والاجتماعى وكان الانقسام حول اختيار المرشح حتى كاد المرشح الجمهورى أن يفشل فى الفوز بالأغلبية المطلوبة للنجاح فى الانتخابات لولا دخـوله فى تفـاهم مع الزعامات الجنوبية التى تنحاز للحزب الديموقراطى المعارض ، وبمقتضى هذا التفاهم حصل المرشح الجمهورى على منصب الرئاسـة وحصل زعمـاء الجنوب على اقرار مطالبهم وهى انهاء الوضع العسكرى وانهاء التنظيمات المفروضة على الجنوب بسحب الجيوش من الولايات الجنوبية . وقد وجدت هذه التسـوية السياسية كل الدعم والتأييد من الصناعيين والبنكيين فى الشـمال الذين بدأوا فى هجر الحزب الجمهورى والذين رأوا مستقبل ازدهارهم الصناعى الرأسـمالى فى انتشـار السلام والهدوء والاتجاه نحو استثمار موارد البلاد . وكان شعارهم فى هـذه الفترة « ارفعوا أيديكم عن الجنوب » ..

وهكذا استيقظ النجرو الامريكى من وهم الفجر

الجديد والشمس الطالعة فى الشمال وجاءه الرد صدى أجوف على سؤاله وآماله التى حركته طوال هـذه الفترة وهى :

« هل للزنوج مكان فى قمة بناء المجتمع بعد الغاء الرق؟» .. لقد اكتشف الزنوج الامريكيون ان القمة مازالت للأبيض فقط وتأكد هذا بعد التسوية السياسية التى أشرنا اليها والتى أنهت كل ماسبق من اجراءات عام ١٨٧٧ . وأصبح الزنجى الأمريكى من يومها يعرف أين القاع فقط . فقد عاش فيه وسيموت فيه جيلا وراء جيل ..

عهد النكسة والهبوط الى الحضيض

أطلق الاستاذ رايفورد لوجان على هذه الفترة اسم الهبوط الى الحضيض ، وتبعه جميع الدارسين الذين استعملوا الكلمة التى اختارها . ومرجع هذا الى أن جميع الآمال والتوقعات قد انهارت وتلاشت نهائيا . ووجد النجرو الامريكى نفسه مرة ثانية بدون رجولته وشـخصيته . بل أكثر من هـذا بدأ يذوق كل آثار الانتقام والتعذيب والكراهية التى يصبها عليه الرجل

الابيض ، ويقول سلبرمان ان المجتمع الأبيض لم يسمح لهذا الانسان اسود اللون أكثر من مكان وشخصية وذاتية نصف رجل . لدرجة أن الزنوج الأمريكيين بدأوا يتساءلون فى شعرهم وكتاباتهم

« هل النجرو موجود فعلا فى الحياة الأمريكية » ؟

فى هذه الفترة تكونت جمعية كوكلوكس كلان وهى جمعية سرية من البيض تعمل على دوام سيطرة الرجل الأبيض وقيمه ومثله ووضعه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فى المجتمع ، وان يظل الزنجى الاسود خارج دائرة التأثير الاجتماعى والسياسى فى البنيان الامريكى . واتسع نشاط هذه الجمعية، وازدادت عملياتها الارهابية حتى وصلت الى جميع ولايات الجنوب وظهرت فى بعض ولايات الوسط والولايات الفاصلة بين الشمال والجنوب ، وصاحبتها موجة فكرية تؤجج من حمى الكراهية والاحتقار لذوى اللون الاسود . مع ارتفاع صيحات هنا وهناك تنادى بمقترحات تهجير السود الى افريقيا أو البحر الكاريبى حتى تصفو الدنيا وتخلص أرض الولايات المتحدة ميراثا وحقا للبيض دون غيرهم وفى هذه الفترة التى يذهب أغلب الدارسين الى

تحديدها بالربع الأخير من القرن التاسع عشر ، حتى ان لوجان نفسه يحددها على عنوان كتابه من ١٨٧٧ الى ١٩٠١ ، ومرجع هذا عندهم هو أن هذه الفترة التاريخية هى التى شهدت قمة سيادة الرجل الأبيض على مقدرات الكون، وبالذات سيادة الانجلوساكسون على خريطة العالم ، فبعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٧٠ كان الاستعمار الاوروبى فى أوج زحفه وطغيانه على شعوب الارض خارج غرب اوروبا . وقد شهد عام ١٨٨٤ وبداية عام ١٨٨٥ انعقاد مؤتمر برلين الذى جرى فيه تنظيم استعمار افريقيا وتبعه تقسيم القارة بين قوى الاستعمار الأوروبى ، وفى الشرق الأقصى كان التقسيم الاستعمارى قد تم منذ أمد وحاولت الصين أن تتماسك فى وجه هذه الموجة الاستعمارية ، الا أنها فى هذه الفترة ركعت وأصبحت مقاليد أمورها فى يد الغزاة والمغامرين وأصحاب مناطق النفوذ والامتيازات . ويضيف الاستاذ لوجان انه فى هذه الفترة أصبحت جرينتش هى مركز ضبط الوقت فى العالم . وهذا كان اعلانا على سيادة الرجل الانجلو ساكسونى وأنه محور ومركز حياة العالم كله

وقد شهدت هذه الفترة ازدهار الأفكار الداروينية في ميدان تفسير الحياة الاجتماعية التى تقول بسيادة الكفء القادر وأنه لا مجال للضعيف الا أن يخضع ، وروج هذه الأفكار مؤلفون أمثال باجهوت وسبنسر وهكسلى الذين دقوا الطبول لسيادة الرجل الأبيض ورسالته وعبء المدنية والتحضير الذى يحمـله على كتفيه ، واختصوا الانجلو ساكسون وحدهم بالنصيب الأكبر من هذا الدور وهذه المسئولية . ولقـد نشر الاستاذريتشاردهوفستادنزكتابه الذىأسماه «الداروينية الاجتماعية فى الفكر الأمريكى » حلل فيه عناصر تكوين المجتمع الأمريكى الفكرية والمادية ، ووجد أن هـذه الأفكار الداروينية والعنصرية المنحـازة للبيض بدون عقل وتدبير هى التى بنت الموقف الفكرى الأمريكى وهى التى صنعت الصورة الأخيرة للهيكل الاجتماعى الامريكى لدرجة قوله ان الولايات المتحدة اصبحت النموذج الاجتماعى للصراع الداروينى

ويجب أن نقدر قيمة هذه الفترة لا من ناحية موقف البيض فقط ، بل من ناحية موقف السود أيضا ، فقد أظلمت الدنيا فى أعينهم لدرجة أنهم رأوا المعركة صراعا

بين الألوان المختلفة ، أو بمعنى أدق صراعا بين البيض والسود فى معركة طويلة ، ظنها البعض أزلية فانهار فى اعماق اليأس فى داخل الولايات المتحدة أو هرب منها الى خارج الولايات المتحدة ، وظنها البعض عداء الألوان فنادى بتمجيد اللون الأسود ونسب اليه جميع الفضائل ونسب الى اللون الأبيض جميع الرذائل . وبين هؤلاء وهؤلاء ظهرت دعوات وجماعات وقامت تنظيمات متنوعة فى داخل كتلة ذوى اللون الأسود . وسوف نشهد كل هذا فى دعوة بوكر واشنطن الذى دعا الزنوج الى ان يقروا الوضع الراهن ويعيشوا فى داخل اطاره ، وفى صراع الدكتور ديبويس الذى دعا الزنوج الى معركة سياسية اجتماعية فكرية فى داخل المجتمع الأمريكى حتى يفوزوا بالاعتراف بمواطنتهم على قدم المساواة فى جميع الحقوق والواجبات والمسئوليات ، وفى حركة ماركوس جارفى الذى دعا الزنوج الى العودة الى افريقيا بلاد الآباء والأجداد . وغير هذا من الدعوات والحركات السياسية والفكرية

وفى هذه الفترة تحرك العنصريون البيض فى ولايات الجنوب ولاية بعد أخرى فأصدروا من القوانين وأجروا

من التعديلات الدستورية مايقطع الطريق على أى تقدم ممكن للزنوج ، فقد أصدرت الولايات الجنوبية قوانين تحدد الشروط الواجبة فى المواطن الذى يقيد اسـمه فى جداول الانتخابات ومنها شرط الاقامة الدائم ودفع ضريبة الرءوس وقراءة دستور الولاية أمام اللجنـة المختصة بقيد الأسماء ، وتفسير هذا الدستور أو مواد معينة منه ، واشتراط التمتع بالاخلاق الحسنة عن طريق شهود مضمونين معروفين للجنة وتقبل شـهادتهم . وأخيرا أقدمت هذه الولايات على اشتراط مايعرف فى التاريخ باسم « شرط الجد » ومعناه أنه يشترط فيمن يقيد فى جداول الانتخابات ان يثبت ان جده قد صوت أو اقترع فى الانتخابات فى فترة حياته . وقد ظل هذا الشرط ساريا حتى فترة الحرب العالمية الأولى حين تقرر الغاؤه عام ١٩١٥ ..

وفى هذه الفترة ظهرت فى أمريكا ماتسمى باسم ثورة الفقراء وثورة الحزب الشعبى وهى اضطرابات الفلاحين الصغار من ذوي اللون الأبيض . فقد أحسوا بالآثار القاسية للنمو الرأسمالى فى الصناعة وفى تحول الزراعة الى صناعة رأسمالية على نطاق واسع «المزارع الكبيرة»

وتأثير محصول السوق . الأمر الذى انعكس على هؤلاء الفلاحين الصغار والمتوسطين فى تراكم الديون ونزع الملكية وعدم ضمان أسعار المحاصيل . وهذه الاضطرابات أخذت شكلا عنيفا ضد الدائنين وضد السلطة الحكومية . وانتهت الى تكوين الحزب الشعبى الذى عبر عن موقف هؤلاء الفلاحين . وقاد الحزب الشعبى حملة ناجحة فى السيطرة على الرأى العام فى الولايات التى تتكون غالبيتها من أسر الفلاحين الصغار والمتوسطين . ثم حدث بعد ذلك تحالف بين هذا الحزب والرأى العام للزنوج الأمريكيين ، اذ رأى قادته امكانيات النجاح فى الاعتماد على أصوات الزنوج الأمريكيين فى الانتخابات . وعندما تيقن العنصريون البيض والرأسماليون الاحتكاريون ان الحزب الشعبى قد عبر خط اللون وأنه على وشك اقامة قاعدة شعبية ترتفع عن خط اللون الفاصل وتبنى نفسها على أساس اقتصادى يفصل بين أهل الفقر وأهل الغنى . تحرك الجميع وتم تحطيم هذا الحزب وهذه الثورة قبل أن يأتى عام ١٩٠٠ وكان السلاح فى هذا الاجراء هو التشديد من ضغوط قوانين التفرقة العنصرية ومطاردة

الزنوج الأمريكيين وسلبهم كل امكانية للوجود السياسى فى المجتمع ، وتوج هذه المطاردة الحكم المشهور باسم « حكم بليسى ضد فيرجسون » وهو قرار أصدرته المحكمة العليا فى قضية مشهورة بهذا الاسم . ويقضى القرار بدستورية ومشروعة التفرقة بين الأبيض والأسود بشرط المساواة أو فى قول آخر نصت المحكمة على ضرورة المساواة بشرط أن يفصل بين الجنسين . وتم تطبيق هذا فى جميع نواحى الحياة الأمريكية حتى فى السجون

وأكثر من هذا انعكس المناخ السياسى الخارجى على قضية الزنوج الأمريكيين ، ففى هذه الفترة تحرك الاستعمار الامريكى فاستولى على الفيليبين وكوبا وجزر هاواى وتدخل مرارا فى منطقة البحر الكاريبى وأمريكا الوسطى . وظهر أمام الجميع خضوع هؤلاء الملونين فى جميع هذه المناطق تحت سيطرة الرجل الأبيض . ويعلق كوارليز على هذا بأن الشماليين والجنوبيين البيض تعاونوا بدون خلاف أو شقاق على حكم هذه الشعوب الملونة

ويرى سلبرمان أنه فى هذه الفترة نمت وتبلورت

ظاهرة كراهية الذات وعقدة الهروب من الذات التى سيطرت على تفكير ونفسية الزنوج الامريكيين. وبدأت تتأصل فى حياة الزنوج معانى الهـروب من اللون الأسود والزنوجة والميل والشـغف الى التحول الى البياض فى القيم والمعانى والأهداف والشخصية حتى فى اللون ، بواسـطة الاتصـال الجنسى مع الأبيض . وتعلم الطفل الأسود أن يكره نفسه وأن يكره كل شيء حوله يذكره بالسواد أو بحقيقة لونه ، ومن هنا جاء الشعور بالسلبية تجاه النفس وتجاه المجتمع وتجاه أى قضية . ويؤكد المؤلف بأن ٣٠٪ من الأطفال الذين أجرى عليهم دراسته يشعرون بالخزى والحزن نتيجة لونهم الاسود ، وأن ٨٠٪ من مجموع هؤلاء الاطفال اصدروا على انفسهم احكاما ووصموا انفسهم بصفات ترتبط بمعانى الذلة والضـياع والتـدهور فى المركز الاجتماعى . ومن هنا يرى المؤلف أن عقـدة الزنجى الأمريكى هى الاحساس بالعجز وعدم امتـلاك القوة الأمر الذى حطم رجولته وذكورته ، فضلا عن التبلد والهروب النفسى والاجتماعى المستمر

واستنادا الى سلبرمان فى مؤلفه « أزمة الاسـود

والأبيض » أن الأزمة تأتى من أن الزنوج الأمريكيين لم يحرروا أنفسهم فقد حررهم غيرهم من الرق ، وأنه عقب الحرب الأهلية الأمريكية لم يكونوا كجماعة بشرية مستعدين لتحمل تبعات ومسئوليات الموقف الجديد . فلقد أذهب الرق رجولتهم ووصمهم بأوضاع عدم المسئولية وألغى دورهم كآباء مسئولين عن بناء أسرى ، ودورهم كأمهات يمثلن سيدات هذه الأسر . فقد عاشوا أجيالا يعتمدون على ارادة طرف آخر يمتلك كل ارادة وكل أمر وكل قوة . لقد خرجوا من عهد الرق بلا تنظيم أسرى ثابت له قواعد وله قيم ، ولم يعرفوا من قبل معنى الروابط العائلية ، ولهذا فبمجرد الغاء الرق هاموا على وجوههم من مكان لآخر ومن وظيفة لأخرى ومن امرأة لأخرى . ويجمل المؤلف من كل هذا السمات الأساسية التى كونت شخصية الزنجى الأمريكى فى هذه الفترة ميراثا عن عهد الرق السابق فيما يلى :

١ ـ الزنجى الأمريكى أستاذ بارع لايشق له غبار فى فن النفاق و « مسح الجوخ » وابداء الضعف والمسكنة والذلة واثارة الاشفاق . ويتخذون هذا الموقف باستمرار وسيلة للدفاع عن أنفسهم ، ولاينتظرون

مطلقا من أنفسهم المبادءة ، وانما باستمرار يتوقعون المبادءة من الرجل الابيض ، وينتظرون منه ان يقرر كل شيء وأن يبت فى كل موضوع

٢ ـ يجد الزنجى الأمريكى لذة عميقة دافقة فى أن يقول الرجل الأبيض انه يعـرف طبيعة وحقيقة هـذا الزنجى . وهذه اللذة الدافقة العميقة تأتى من أن الزنوج فى أعماق تفكيرهم يعرفون انهم فى داخل نفوسهم شيء آخر غير هذا الخلط الذى يردده الرجل الأبيض باستمرار

٣ ـ يخفى الزنجى الأمريكي أفـكاره وعـواطفـه وشهواته وأحقاده ورغباته خلف قناع سميك متين من الاستسلام والذلة والمسكنة أو الضـعة أو السلبية أو الاستعباط أوالابتسام . وفى كل استعمالات هذا القناع لا يبـدى الزنجى الأمريكى طموحا أو ذكاء أو ما يثير ريبة الرجل الأبيض مطلقا . ولكن الشيء الهام الذى لاحظه جميع الدارسين انعيون الزنوج الامريكيين دائما قلقة لاتثبت على شيء مطلقا ، وباستمرار تجدها فى وضع الهروب والشرود حتى لايضبطها احد فى وضع استقرار

٤ ـ الزنجى الأمريكى مريض بالازدواجية أو ثنائية الشخصية . وعلة هـذا تأتى من آثار نظام الحياة فى

المزارع الكبرى الأمر الذى طبع نفسيتهم وخلق لهم انماطا من السلوك وردود الفعل السيكولوجية ، وكذلك خلق لهم اطارا أخلاقيا له قيمه ومفاهيمه الخاصة

وفى هذه الفترة أيضا برزت خطوط التفرقة بين الخلاسيين والزنوج ، فقد جاء الخلاسيون الى عهد ما بعد الرق ومعهم ميراثهم من منازل السادة البيض فى الجنوب حيث تمتعوا بوضعية اجتماعية واقتصادية ونفسية تختلف عن الزنوج الرقيق الذين عملوا فى الزراعة . وبين هؤلاء الخلاسيين من كان يعرف القراءة والكتابة ومن كان يمارس مهنة كالخدمة فى المنازل وقيادة عربات الركوب وغير هذا من المهن . وهؤلاء يصدق عليهم القول « البيض ذوو البشرة الملونة » ، وسوف نلاحظ ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية سوف تدفع هؤلاء الى مقدمة المجموعة البشرية السوداء وسوف يتولون زعامتها ، الأمر الذى انعكس على باقى المجموعة فى التشبه بهم ومحاولة التغير حتى يكونوا منهم . وبالتالى التلهف والاندفاع ليكونوا جزءا من قيم ومفاهيم وسلوك وانماط الحياة فى المجموعة بيضاء اللون

وان اخطر نتائج هذه الفترة هى ان الزنوج الأمريكيين بدأوا يكيفون حياتهم على أساس التفرقة القانونية المفروضة باسم القانون وأدوات الردع فى المجتمع ، خاصة وان الاوضاع الاقتصادية الرأسمالية ـ المزدهرة فى تلك الفترة ـ لم تمنحهم أى أمل فى امكان تغيير هذه الأوضاع القانونية المفروضة . ولهذا ساد حياتهم الخوف واعتراهم الفزع والذعر وأصبحوا جميعا لا هم لهم الا المحافظة على الذات أمام سطوة هذا البناء القانونى الضخم ، وهذا البناء الاقتصادى الجبار ، وامام أدوات الردع وأذرعة السلطة القوية الفعالة فى المجتمع . ولهذا نجد ان الجنوب سوف يتصف بالخضوع والطاعة وان الحركة سوف تأتى من الشمال خاصة بعد الهجرة الى بيئة المدينة الجديثة والصناعة الرأسمالية

ويلحق بهذه النتيجة ان الزنوج الامريكيين يفقدون الأمل نهائيا فى أى تحسين أو تعديل لأحوالهم بواسطة الأدوات الحكومية فى الولايات ، أو عن طريق جماعات وهيئات الوعظ والذكر الحسن ودعاة الانسانية المعذبة. وانهم بهجرتهم الى الشمال سوف يعرفون الطريق الى

الاحتكاك بالأداة الحكومية الفيديرالية التى سوف يتطلعون اليها وتصبح أحد أدواتهم فى معركتهم فى داخل المجتمع الامريكى . لقد وثق الزنوج الامريكيون فى دور الكونجرس الأمريكى بصدور التعديلات الدستورية التى أشرنا اليها من قبل ، وزادت ثقتهم بصدور التعديل الخامس عشر ولكن بانتصار الفكر الجنوبى وأنصاره وحلفائهم انتهت هذه الثقة ثم ماتت حين نسيهم الكونجرس كأداة التشريع الديموقراطى فى الولايات المتحدة . وتحولوا بعد هذا الى القضاء الذى نص عليه الدستور حاميا للحريات مدافعا عن الضعفاء أمام أى عدوان على حرياتهم ، فلما صدر قرار بليسى ضد فيرجسون الذى أقر أوضاع الفصل بين الأجناس على أساس المساواة — بدأ اليأس ينتشر فى داخل المجموعة البشرية سوداء اللون ، فتحول البعض عن انتظار العدل عن هذا الطريق وان ظلت الأكثرية متمسكة بدور القضاء والأمل فى الحل الجذرى عن طريقه ، وأخيرا وضعوا ثقتهم فى دور الرئيس الأمريكى وخاصة بعد عام ١٩٠٠ حينما تولى الرئاسة تيودور روزفلت الذى جمعته صداقة مع بوكر واشنطن الزعيم الزنجى فى تلك الفترة

الفصل الثالث

إلى المدينة..

الوجه الأسود في الصورة البيضاء

عرف الزنوج الأمريكيون الحيـاة فى المدينة الحديثة فى أمريكا منذ زمن سابق كما أشرنا من قبـل ، ولكن فى هذه الفترة التاريخية التى بدأت بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية بدأ الزنوج فى الهجرة من الريف حيث كانت تعيش الكتلة الرئيسية من هذه المجموعة البشرية الى المدينة فى اعداد متوالية وبشكل منتظم حتى أصبح وجودهم فى المدينة شيئا لايمكن اغفاله ، أو فى قول آخر اصبح وجودهم شيئا أساسيا فى تركيب المدينة الحديثة فى أمريكا ، وهذه المدينة التى نقصدها هى جميع المدن الامريكية فى الشمال والوسـط والغرب والجنوب . وقيمة هذا الانتقال انه تم مع ارساء القواعد الأساسية فى

بناء الهيكل الاقتصادى الرأسمالى الأمريكى الذى يجعل المدينة هى عصب الحياة الاجتماعية والاقتصاد الصناعى وشبكة الخـــدمات والتيارات الفـــكرية والقيادات السياسية والاعلامية والتعليمية..الخ. وفى الوقت نفسه تحولت الزراعة الى نوع من الصنـــاعة الحديثة نتيجة الاســـتخدام الكامل للتقـــدم الفنى والتكنولوجى فى الآلات وانتقاء المحاصيل والتسويق الحديث وميكانيكية السوق العالمى .. الخ

واذا أخذنا فى الحسبان تزايد التعداد العام للزنوج الامريكيين حتى وقتنا الحـــاضر ، والتوسع فى فرص الحياة والعمل فى المدينة الحديثة الأمر الذى أتاح الفرص لظهور فئة عريضة من هؤلاء الزنوج من ذوى الياقات البيضـــاء والموظفين بجـــوار ما يطلق عليهم عموما اسم البورجوازية السوداء . أمكن أن نفهم معنى الاحصاء القائل بأنه فى عام ١٩١٠ كان توزيع التعداد العام للزنوج الأمريكيين فى بيئة المدينة والحضر ٢ر٧ مليون نسمة وفى بيئة الريف والزراعة ١ر٧ مليون نسمة ، وتغير هـــذا التوزيع فى عام ١٩٣٠ الى ٢ر٥ مليـــون نسمة من بيئة المـــدن والحضر و ٦ر٧ مليـــون نســـمة فى بيئة الريف

والزراعة . وان هذا الانتقال يتم فى داخل تيار اجتماعى كبير فى الولايات المتحدة يسجل زيادة النمو السكانى والاتجاه القوى المتواصل للانتقال الى المدينة حيث امكانيات العمل والصناعة والمدرسة والنوادى .. الخ . ولقد قدر الدارسون انتقال ما يقرب بين ٢٧ مليون نسمة من المناطق الريفية الزراعية الى مناطق المدن والتجمعات الحضرية فى الفترة التى تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٦٤ وان هذا الانتقال تم فى الفترة التى زاد فيها التعداد العام للولايات المتحدة بحوالى ٥٠ مليون نسمة

وقيمة هذا فى التحليل السياسى الاجتماعى هى ان التغير الاجتماعى بالانتقال والهجرة الداخلية يحطم الولاءات السابقة والارتباطات القديمة ، كما ان كتل المهاجرين الأول الكبرى فى المدن والمناطق التقليدية فى الولايات المتحدة تتناقص قوتها نتيجة لنشوء مراكز ومدن جديدة تقوم على أساس عمل وآثار الماكينة والآلة والخدمات ولا يربط بينها الرباط العقائدى أو الدينى الذى دفع المهاجرين الأول فى الانتقال الى الدنيا الجديدة ، وهذا له معنى سياسى آخر وهو الانهيار

المستمر فى قيمة زعامات المدن التقليدية التى كونت لنفسها اسما سياسيا واجتماعيا خلال الفترة التاريخية السابقة ، فهذه المدن اما تتناقص قيمتها وتأثيرها فى الموقف السياسى العام واما تغزوها جيوش من النازحين من قلب أمريكا الزراعى بحثا عن العمل والوظيفة والشهادة وهؤلاء لايدخلون أوتوماتيكيا فى داخل اطار الولاء التقليدى الموجود نتيجة الحياة التاريخية المشتركة السابقة

وهذه المقدمة تنطبق على كتلة الزنوج الامريكيين فقد هاجروا الى المدن بحثا عن العمل أو أملا فى المستقبل أو هربا من الواقع المظلم ، وقد هاجروا أفرادا وجماعات ، وهذه الهجرة المنظمة ترجع الى عام ١٨٧٩ فقد ظهر فى مناطق الجنوب زنجى ادعى المهدوية والنبوة يدعى بات سنجلتون واستطاع أن يقود جموعا بشرية من الرجال والنساء والأطفال الى ولاية كانساس أملا فى اقامة مجتمع أسود حر هناك خارج نطاق الجنوب المتعصب ، وقد فشلت هذه الهجرة وأصابت المهاجرين باضرار وكوارث فظيعة ، ولكن هذا لم يمنعهم مرارا وتكرارا من الهجرة الى الغرب والوسط ، وحاليا فى ولاية تكساس وولاية

أوكلاهوما توجد مدن تكاد تكون سوداء (١٠٠ ٪) نتيجة لهذه الهجرات

ومن ناحية أخرى نجد انه طبقا لاحصاء عام ١٩٦٠ شهدت ولاية نيويورك زيادة فى عدد الزنوج بمقدار ٢٩٠ ألفا من الأفراد فى السنوات الأربعينيات و ٣٤٠ ألفا من الأفراد فى السنوات الخمسينيات من هذا القرن . واذا راجعنا الأرقام الخاصة باحصاءات المدن وجدنا الزنوج يشكلون النسب المئوية التالية فى المدن الكبرى كالآتى :

١٥ ٪ من التعداد العام لمدينة نيويورك
٢٤ ٪ من التعداد العام لمدينة شيكاغو
٢٥ ٪ من التعداد العام لمدينة فيلاديلفيا
٣٥ ٪ من التعداد العام لكل من مدينة ديترويت ومدينة كليفلاند

وفى عام ١٩٦٠ يعيش ٩ مليون زنجى خارج الولايات الجنوبية التى حاربت فى الحرب الأهلية ضد ولايات الشمال بينما كان هذا الاحصاء عام ١٩٤٠ هو ٤ ملايين زنجى ـ وفى عام ١٩٦٠ تبين ان ١/٣ تعداد الزنوج الامريكيين يعيش فى ١٢ مدينة كبيرة فى الشمال والوسط

والشرق طبقا للمفهوم الامريكى

وفى دراسة أخرى نجد ان الزنوج الامريكيين يشكلون ١٠ ٪ من مجموع التعداد العام للولايات المتحدة عام ١٩٦٠ ، وانه فى السنوات الستينيات (١٩٦٠/١٩٧٠) سوف يولد ٤٠ مليونا من الاطفال ، ومن هذا العدد سيكون ٦ ملايين من الاطفال للزنوج الامريكيين فقط . وانه من المقدر عام ١٩٧٠ ان تعداد الزنوج الامريكيين فى المدن وبيئة الحضر سيصل الى ١٨ مليونا من الأفراد فى مقابل ١٣ر٨ مليونا طبقا لاحصاء عام ١٩٦٠ ، وقد سجل لويس هاريس وزميله هذه الأرقام فى دراستهما عن ثورة الزنوج فى أمريكا فيما يختص باحصاءات الزنوج فى المدينة والريف كالتالى :

اعوام	فى بيئة المدن والحضر بالملايين	فى بيئة الريف والزراعة بالملايين
١٩١٠	٢ر٧	٩ر١
١٩٢٠	٣ر٥	٦ر٩
١٩٣٠	٥ر٢	٦ر٧
١٩٤٠	٦ر٢	٦ر٦
١٩٥٠	٩ر٤	٥ر٦
١٩٦٠	١٣ر٨	٥ر١

هذه الأرقام هى التى تكشف أبعاد الموقف الحالى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فبالنسبة للسياسة ظهرت الزعامات الجـديدة فى المدينة وتكلم المثقفون وتكونت المنظمات وجماعات الضغط وانتشرت الدعوات والآراء بحثا عن الحل الأمثل للمشكلة وسـوف نؤجل دراسة هذه النقطة للفصول التالية فيما بعد ، وبالنسبة لمشكلات الاسكان سوف نجد ان الزنوج يصلون الى ما يسمى فى الفكر الامريكى باسم « قلب المدينة » أى منطقة الوسط فى المدينة الامريكية حيث يسكنون فى منطقة « الغيتو الأسود » أو ما نسميه نحن فى مصر باسم « حارة » عملا بالكلمة الشعبية المتداولة . والمقصود من الـكلمة ان الزنوج يتكدسون فى منطقة معينة فى وسط المدينة وكل وافد جديد يصل اليها حتى يحصل على مساعدة الأقارب أو الأصدقاء أو المشتركين معه فى لعنـة اللون طبقـا لمقاييس المجتمع الأمريكى . وفى هذه المنطقـة المنبوذة يتكدس العـاملون والعـاطلون والشرفاء والمنحرفون والرجال والنساء فى أوضاع سكنية سيئة للغاية وينتشر فى وسطهم الفقر والحاجة والجهل والانحرافات ، كمـا تتعقد علاقاتهم مع الأقليات والأجناس والألوان الاخرى

فى المجتمع ، وسوف نثير فيما بعد مشكلة علاقاتهم مع اليهود وما انتشر من رأى بأن الزنوج يعادون اليهود وان الحركة السياسية للزنوج موجهة ضد السامية واليهود ..

واذا كان هذا القول ينطبق على الزنوج كمجموعة بشرية فان مشكلات عديدة تواجههم كأفراد ، فالرجل الأسود تواجهه مشكلة البحث عن العمل وهنا يصطدم بأوضاع النقابات العمالية التى لا تأخذ حتى الآن بالاندماج بين جميع العمال فى تنظيم عمالى واحد ، ويترتب على هذا ان متوسط أجر العامل الاسود أقل من متوسط أجر العامل أبيض اللون ، وان نسب البطالة والتشرد بين الزنوج أكثر ارتفاعا من مثيلاتها بين بيض اللون . واذا كان الرجل الزنجى من ذوى الياقات البيضاء أو من البورجوازية السوداء فله أيضا مشكلاته وأوضاعه التى تميز بينه وبين من يماثله فى الوضع من بيض اللون . وقل مثل هذا على المرأة الزنجية فيما يتعلق بعلاقات العمل . وبجانب هذا تحدث مضاعفات هذا الوضع عند الرجل حينما ينحدر الى جيش البطالة الدائمة وشبه الدائمة كما سنوضح بالارقام الواردة فى

الاحصاءات الرسمية ، وان هذا يقود العدد الأكبر منهم الى الجريمة والى تجارة المخدرات وتعاطيها والى العالم السفلى عالم الجريمة . أما المضاعفات عند المرأة الزنجية فتظهر فى الانضمام الى جيش البغاء وتجارة الدعارة والمواليد غير الشرعيين ... الخ . أما مشكلات الاطفال فتبدأ مبكرة فى سن الطفولة حينما يبحثون عن المدرسة فتواجههم مشكلات التفرقة وعدم الاندماج فى المدارس، أو يتكدسون فى مدارس كل طلابها سود اللون ولها مشكلاتها الخاصة لسوء مستويات التعليم والنقص فى مستلزمات البناء والكتب والأدوات .. الخ . وتشير الاحصاءات الرسمية الى ارتفاع النسب المئوية للطلاب سود اللون المفصولين والراسبين فى سنوات التعليم ، وهؤلاء يخرجون مبكرين الى سوق العمل فيجدون البطالة . وهذه البطالة نوع خاص بهم اذ أنها بطالة فى سن الشباب فيدخلون جيش العاطلين ويشعرون بمضاعفات هذا الوضع فى مظاهر التشرد وتفكك الأسرة بجوار ما سبق ان أشرنا اليه من مضاعفات يشعر بها الرجل والمرأة ..

وهاهى ذى عينات من الارقام الرسمية المنشورة تشرح

ما أجملناه من قبل وهى مأخوذة من الاحصاء العام لسنة ١٩٦٠

البطالة : ١٠ ٪ من مجموع تعداد الزنوج فى حالة بطالة دائمة فى مدينة نيويورك

١٧ ٪ من مجموع تعداد الزنوج فى حالة بطالة دائمة فى مدينة شيكاغو

٢٠ ٪ من مجموع تعداد الزنوج فى حالة بطالة دائمة فى مدينة كليفلاند

٣٩ ٪ من مجموع تعداد الزنوج فى حالة بطالة دائمة فى مدينة ديترويت .

وبالنسبة للولايات المتحدة كلهـا نجد النسبة المئوية للبطـالة بين الزنوج الامريكيين تتراوح بين ١٤ ٪ ، ١٥ ٪ من تعدادهم الكلى

الاجور : متوسط أجر الرجل العامل الزنجى يساوى ٦٨ ٪ من متوسط أجر الرجل العامل أبيض اللون

متوسط أجر المرأة العاملة الزنجية يساوى ٩٣ ٪ من متوسط أجر العاملة بيضاء اللون

متوسط مجموع الأجـر الذى تحصل عليه العـائلة الزنجية يساوى ٧٣ ٪ من متوسط مجموع الأجر الذى

تحصل عليه العائلة بيضاء اللون ـ علما بأن عدد الأفراد العاملين فى العائلة سوداء اللون أكبر من عـدد الأفراد العاملين فى العائلة بيضاء اللون

الدخول : زاد دخل العامل الزنجى بنسبة ٣٧ ٪ من الزيادة التى تمت فى دخل العامل ابيض اللون منذ عام ١٩٣٩ ، وفى عام ١٩٥٢ ارتفعت نسبة الزيادة فى دخل العامل الزنجى الى ٥٧ ٪ ، ومع توقف الحرب الكورية هبطت النسبة المئوية للزيادة من ٥٧ ٪ عام ١٩٥٢ الى ٥٣ ٪ عام ١٩٦٢

المهنيون : فى عام ١٩٠٠ كان عدد الأطباء من الزنوج الأمريكيين ٣٤٠٠ طبيب ، فارتفع الرقم طبقا لاحصاء عام ١٩٦٠ الى ٤٠٢٦ طبيبا ..

التعليم : ٥٠ ٪ من تعداد الزنوج البالغ عمرهم أكثر من ٢٥ عاما حصلوا على تعليم أولى فقط بينما ٢١ ٪ من تعداد البيض البالغ عمرهم أكثر من ٢٥ عاما حصلوا على تعليم أولى مماثل .

حياة الاسرة : طلقت زوجـة من كل ثلاث زوجات زنجيات من اللائى عمرهن فوق ١٤ سنة أو انفصلت عن زوجها بينما طلقت زوجة من كل خمس زوجات بيض

اللون من الذين عمرهم فوق ١٤ سنة

ـ طفل زنجى من بين كل خمسة اطفال مواليد يولد نتيجة وضع غير شرعى (بدون زواج) بينما يوجد طفل ابيض من بين كل خمسين طفلا يولد نتيجة وضع غير شرعى (بدون زواج)

ـ عدد الاطفال المواليد غير الشرعيين الزنوج أكبر من أمثالهم بين البيض بمقدار ١٥ مرة

ـ فى نيويورك عـدد جرائم انحـراف الشباب بين الزنوج أكبر من مثيلاتها بين البيض بمقدار ١/٢ ٢ مرة

ـ فى نيويورك عدد حالات الامراض التناسلية بين الزنوج أكبر من مثيلاتها بين البيض بمقدار ٥ مرات

ـ فى نيويورك عدد حالات وفيات الاطفال بين الزنوج اكبر من مثيلاتها بين البيض بمقدار مرتين

ـ فى نيويورك عدد حالات الانفصال والطلاق بين الزنوج أكبر من مثيلاتها بين البيض بمقدار ٦ مرات

ـ فى نيويورك عـدد حالات ولادة الاطفال غـير الشرعيين بين الزنوج فى هارلم تمثـل ١/٣ عدد حالات الولادة

الانفاق والتعليم : المتوسط اليومى لنفقات تعـليم

التلميذ الواحد فى المدارس الابتدائية والثانوية للبيض والسود وهى تشمل مصروفات مهايا المدرسين والعاملين والمكتبة والأدوات .. الخ . بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وبدون تفرقة لونية بين الأبيض والاسود كان المتوسط اليومى للانفاق عام ١٩٤٠/٣٩ هو ٦٣ر٦٦ دولارا وارتفع عام ١٩٥٤/٥٣ الى ١٧٧ر٥٢ دولارا . واذا تم التوزيع على الولايات مع التمييز بين ما ينفق على تعليم التلميذ أبيض اللون والتلميذ أسود اللون ، وفى الحسبان النسبة المئوية للزنوج فى الولاية وجدنا الأرقام فى بعض الولايات كالتالى :

الولاية	١٩٣٩	١٩٤٠	النسبة المئوية للزنوج فى الولاية	١٩٥٣	١٩٥٤	النسبة المئوية للزنوج فى الولاية
كارولينا الشمالية	٤٣ر٢٧	٢٤ر٨٩	٧٢ر٦	١٣٢ر٤٦	١٢٤ر٨٥	٩٤ر٣
فلوريدا	٥١ر٨	٢٣ر٠٩	٤٤ر٦	١٧٥ر٩٢	١٦٠ر٩٢	٩١ر٣
المسيسيبى	٣١ر٢٤	٦ر٦٦	٢١ر٣	٩٨ر١٥	٣٤ر١٧	٤٤ر٠
الباما	٣٤ر٩٠	١٢ر٦٨	٣٦ر٣	١١١ر٩٩	١٠٥ر٠٢	٩٣ر٨
اركنساس	٢٤ر٨٧	١٢ر١٨	٤٩ر٠	٩٩ر٠٨	٧١ر٧٨	٧٢ر٤
لويزيانا	٥٤ر٣٧	١٦ر١٣	٢٩ر٧	١٦٥ر٠٨	١٢٢ر٠٧	٧٣ر٩

توزيع العاملين فى المهن والخدمات المتعددة فى أمريكا

طبقاً لاحصاء عام ١٩٦٠ كانت النسب المئوية لتوزيع العاملين رجالا ونساء طبقا لكونهم سود اللون أو بيض اللون كالآتى :

نوع المهنة أو العمل	رجال النسبة المئوية أبيض	رجال النسبة المئوية اسود	نساء النسبة المئوية بيضاء	نساء النسبة المئوية سوداء
فنيون مهنيون متخصصون	١١ر٣	٤ر٠	١٤ر٠	٥ر٨
اداريون صناعيون	١٤ر٦	٢ر٧	١ر٥	١ر٨
كتبة	٧ر٣	١ر٥	٣٢ر٦	٨ر٩
عمال بيع	٦ر٣	١ر٩	٨ر٨	١٠ر٥
عمال فيما عدا عمال المزارع والمناجم	٦ر٣	٢٣ر٣	٠ر٤	٠ر٣
عاملون فى الخدمات العامة	٥ر٧	١٤ر٦	١٣ر٨	٢٢ر٨

معدلات الزيادة فى تعداد الزنوج

أثبت احصاء عام ١٩٦٠ ان معدل الزيادة الطبيعية بين الزنوج وصل الى ٢٥ ٪ بينما معدل الزيادة الطبيعية بين البيض وصل الى ١٨ ٪ ، وأنه ترتيبا على هذا يعيش

٧٢ ٪ من التعداد الكلى للزنوج فى بيئة المدينة والحضر بينما يعيش فى نفس هذه البيئة ٧٠ ٪ من التعداد الكلى للبيض • وبمقارنة هذه الأرقام بما كان عليه الحال عام ١٩٥٣ نجد ان النسبة الخاصة بالزنوج كانت ٦٣ ٪ والنسبة الخاصة بالبيض كانت ٦٤ ٪ • وهذه الارقام تكشف لنا أحد الأسباب الأساسية فى انتقال الاضطرابات الى المدينة الامريكية مع تزايد المخاوف التى تملأ عقول البيض والتى ينشرها دعاة التفرقة العنصرية هناك

البورجوازية السوداء

يطلق هـذا اللفـظ على الزنوج الامريكيين الذين ارتفعت مستويات دخولهم الى مستويات البيض ومن ثم فقدوا كل علاقات الكفاح والتأثر بالقضية المشتركة مع جماهير الزنوج الأمريكيين الـذين يعيشون فى قـاع المجتمع • والارقام التى يعرضها لوماكس لسنة ١٩٦٥ نقلا عن تقرير خاص بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للنجرو فىالولايات المتحدة نشرتهجماعة العمل فى البيئة الحضرية فى يناير ١٩٦١ ـ تدل على ما يلى :

يوجد حوالى ٢٥ فـردا فقط ينطبق عليهم وصف مليونير من بين مجموع الزنوج

يوجد حوالى ٤٠٠ فرد فقط يبلغ متوسط دخل الفرد خمسين ألف دولار سنويا أوأكثر من بين مجموع الزنوج ..

يوجد حوالى عشرة آلاف من الأفراد يتراوح متوسط دخل الفرد من ١٥ ألفا من الدولارات الى ٥٠ ألفا من الدولارات سنويا بين مجموع الزنوج ..

وبعد هذا تأتى مجموعة الزنوج من الموظفين فى الأداة الحكومية وفى النشاط الصناعى والتجارى والخدمات ، وهكذا رويدا حتى نصل الى الحضيض حيث الفقر الدائم والبطالة المستمرة . وقيمة هذه الأرقام تبدو اذا تذكرنا مجموع تعداد الزنوج الذى يتراوح ما بين ٢٠ و٢٢مليونا من الافراد، ولكن معناها السياسى هو ان اقساما هامة من أقلية الزنوج الأمريكيين قد انفصلت فكريا وماديا عن القسم الأكبر من هذه الأقلية الزنجية وان ظلت تشاركهم فى آثار اللون الاسود

***

ويذهب فرازير مؤلف كتاب «البورجوازية السوداء» الى أبعد من هذا فى دراسة وتحليل هذه الظاهرة الاقتصادية والاجتماعية فيقول ان ظهور هذه الفئة

يرتبط أساسا بالتغيرات الضخمة التى شهدها الوضع الاقتصادى الامريكى عامة . وان هذا ترتب عليه تغيير عميق الاثر فى علاقة الزنجى بالمؤسســة الاقتصــادية والهيكل الاقتصادى الرأسمالى عامة فى المدينة الصناعية والخدمات يصــل الى نتائج منهــا زيادة اعداد ذوى الياقات البيضاء ، واختــلاف الوضعيــة الاقتصــادية والنفسية والاجتماعية للزنجى المقيم فى منــاطق الغرب والوسط والشــمال . مع اقراره بأن وضعيــة النجرو بشكل عام أدنى من وضعية الابيض من حيث الأمن والاستقرار الاقتصادى ونقص التعليم ونقص الخبرات وقفل ابواب التقدم وتكافؤ فرص المنافسة مع الابيض فى جميع المستويات وميادين الحياة

ويعرض المؤلف هذه الأرقام التى توضح الأوضاع الاقتصادية عام ١٩٥٠ بالنسبة للدخول التى يحصل عليها الأبيض والأسود فى الولايات المتحدة وهى كالتالى :

الدخل السنوى بالـــدولارات	النسبة المئوية للزنوج	النسبة المئوية للبيض
من ٦ آلاف فأكثر	٣ر	٤ر٦
من ٥ آلاف الى ٦ آلاف	٢ر	٣ر٢

من ٤ آلاف الى ٥ آلاف	٨ر	٦ر٥
من ٣ آلاف الى ٤ آلاف	٤ر٧	١٥ر٤
من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ دولار	٥ر٦	٩ر٥
من ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ دولار	٩ر٨	١١ر٦
من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ دولار	١١ر٦	١٠ر١
من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ دولار	١٤ر٩	١٠ر٤
من ٥٠٠ الى ١٠٠٠ دولار	٢١ر٣	١٢ر٤
أقل من ٥٠٠ دولار سنويا	٣٠ر٦	١٥ر٩

وفى تعليقه على هـذا يرى ان آثار ودور التركيب الرأسمالى اقتصاديا وسياسيا قد أدت الى ظهور تركيب اجتماعى ترك أثره على علاقات الأجنـاس لدرجة انه لايمكن اليوم فصـل الآثار عن بعضها البعض ، مع ما تسرب الى هذا الوضع الرأسمالى المادى والفـكرى من مواريث فترة الاقطاع والرق السالفة والتى تداخلت فى هذا التركيب الجديد وأصبحت جزءا لايتجزأ منه. وفى التحليل الذى يقدمه المؤلف يستعرض نماذج من السلوك وقواعـد الضبط الاجتماعى والمراكـز والقيم والمفاهيم فى الحياة العامة والخاصة ، ويؤكد ان ميراث نظام المزارع الجنوبية فكريا واجتماعيا ما زال موجودا

فيما انتقل من ثقافة الى الزنوج والبيض وعلاقات التعامل بينهما ، وما يقال عن الوضع الطبيعى للزنجى وما يطالب به من التزام لتقاليد وسلوك معينة ، وما يشعر به البيض عامة من عدم الامن الاجتماعى أو الاقتصادى اذا غير الزنجى من وضعية هذا الميراث

واجمال القول عند فرازير فى مؤلفه « النجرو فى الولايات المتحدة » ان التكوين الطبقى للزنوج الامريكيين تأتى جذوره أصلا من تفرقة تاريخية قامت على أساس أفكار وأوضاع وتفرقة روحية اجتماعية ملأت عقول البيض منذ أول ظهور الزنوج فى الولايات المتحدة . وان هذه الافكار والاوضاع تحولت الى تمييز اجتماعى اقتصادى أولا فلما ألغى الرق تحولت الى تمييز وتفرقة وظيفية فى الحياة . وازدادت آثار هذه التفرقة الوظيفية فى المجتمع الأمريكى مع ظهور آثار التعليم والمهنة والعمل فى الحكومة أو فى النشاط الخاص الرأسمالى . وامتدت آثارها لا بالنسبة بين البيض والسود فحسب بل امتدت الى ما بين الاقلية الزنجية أيضا . فظهرت فيما بينهم تفرقة على أساس درجة السواد وهذه التفرقة امتداد للوضع الاقتصادى فى

الجنوب الذى فرق بين عمال المزارع والعمل البدنى الشاق وبين خدم المنازل وعمال الخدمات فى حياة الأسر البيضاء المترفة . وكما سبق أن قلنا ان الغالبية العظمى من الخلاسيين جاءوا من هذا الصنف الثانى اعنى خدم المنازل ، وظهرت أيضا تفرقة جديدة بين الزنوج بعد التحرير والهجرة الى المدينة وقامت على أساس الوظيفة ومصدر الدخل ودرجة التعليم ونوع المهنة .. الخ . ومن داخل هذه التفرقة الجديدة نشأت البورجوازية السوداء التى أتيحت لها فرص تاريخية لتولى زعامة الزنوج والتحدث باسمهم ، وهذه الفئة البورجوازية اتخذت انماط معيشة البيض وعلاقاتهم وقيم حياتهم نموذجا ، وأوغلت فى التعلق والتطلع الطبقى والفكرى والاجتماعى . ويذكر فرازير ان الفارق الاساسى بين البورجوازية البيضاء والبورجوازية السوداء ليس فى اللون فقط وانما هو فى قيمة الدخل والمدى الذى يتراوح فيه هذا الدخل ، وكما عرض فى أرقام الاحصاء السالف نجد الفرق ظاهرا . واستطرادا لدراسته يشير الى ان هذه القلة الزنجية من الطبقات المتوسطة تسيطر عليها الرغبة فى أن تصبح بيضاء اللون والفكر والقلب والمركز

الاجتماعى وفى رأيه أنها أمريكية فى كل شيء ما عدا اللون الذى يفصلها عن البورجوازية الامريكية البيضاء . وان هذه البورجوازية السوداء تنقصها الثقافة وليس لديها شوق للمعرفة ، وأقصى ما تريده هو المركز الاجتماعى والظهور فى مجالات ووسائل الاعلام والسينما والأماكن العامة

القبيلة التائهة

يتكون الشعب الأمريكى من جماعات متتالية من المهاجرين ذوى الأصول القومية واللغوية والعرقية المتعددة والمتنافرة . ولقد وصلت هذه الجماعات والأقليات الى القارة الأمريكية على فترات تاريخية متعددة ، الامر الذى جعل مركزها الاجتماعى ومكانها فى السلم الاجتماعى مختلفا نتيجة لهذا الميراث التاريخى، وقد تخيل بناة هذا المجتمع الأبيض صورة مثالية له ، فقد افترضوا أن وصول المهاجرين الجدد الى الشاطىء الأمريكى سوف يدخلهم دائرة ثقافية نفسية اجتماعية تدعمها وضعية اقتصادية جديدة . ومن ثم تذوب فيها هذه الجماعات وتنصهر ثقافيا ونفسيا واجتماعيا ، فاذا

ما عبر المهاجرون الجـدد دائرة التـذويب والانصهار خرجوا من الجـانب الآخر فى صورة وهيئـة ونفسية المواطن الأمريكى الجديد ، وقد سموا هـذه العملية « دائرة التـذويب » • والحقيقة ان هذه الصـورة الافتراضية تواترت فى الكتب ومخيلة الكتاب والجيل الأول من البيض الذين يطـلق عليهم فى أمريكا اسم « الآباء الأول »

ولم تنجح هذه الصورة الا فى حالة الصنف الأول من المهـاجرين من ذوى الأصل الانجلو سكسونى البيض البروتستانت والذين يسمون « واسب » ، واذا شئنا الدقة قلنا ان هذا الصنف الأول من المهـاجرين وصل الشاطىء الامريكى وأقام هناك ثم افترض ان كل موجة بشرية تصل من بعـده يصبح حتما عليهـا ان تذوب وتندمج فيه طبقا لما أرساه هؤلاء المهاجرون الأول من صفات وقيم ومثل وعلاقات اجتماعية ومفاهيم • وقـد يكون السبب ان هؤلاء المهـاجرين الأول توقعوا ان لا يصل الى الولايات المتحدة الامريكية الا امثالهم من ذوى الاصل الانجلو سكسونى والديانة البروتستانتية• وعلى كل حال فان ما حدث هو ان أقليات عديدة وصلت

مهاجرة من ألمانيا وأيرلندا وايطاليـــا وشرق أوروبا ، وجاءت أقليات من الكاثوليك واليهود .. الخ . فلما حاول المجتمع ان يأكل صفاتهم القومية والدينية الموروثة عبر دائرة التذويب ــ فشلت التجــربة . وظل المجتمع الامريكى حتى اليوم مجتمعات وأقليات وطوائف أشبه ما تكون بالقبائل الاجتماعية التى تتعايش بطريقة أو ما فى داخل اطار التنظيم الاقتصادى للحياة الامريكية

ومن أعماق هذا التركيب الاجتماعى التاريخى المعقد ترتفع صيحة القبيلة السوداء التى يصل تعدادها الى ٢٠ مليــون نسمة أو ما يزيد اليــوم ويربطهم رباط اللون وميراث الحياة فى قاع المجتمع ومستوياته السفلى وهم يعلنون رفضهم لدوام هذا الوضع التقليدى الذى أرساه البيض على أساس القول الشائع فى أمريكا :

« اذا كنت أبيض اللون فتقدم للأمام ، واذا كنت ملونا فقف جانبا ، اما اذا كنت اسود اللون فتراجع للخلف » ..

ويرتب الزنوج موقف الرفض على اساس انهم اقدم أقلية ظهرت فى الحياة الامريكية مع الانجلو ساكسون البيض البروتستانت . بل يزيدون على هذا انهم انجلو

ساكسون مثلهم تماما فيما عدا اللون الاسود لبشرتهم فقد عبروا دائرة التذويب واكتسبوا لغةالانجلوساكسون وثقافتهم وفقدوا نهائيا لغاتهم الأصلية . واعتنقوا ديانة الانجلو ساكسون البروتستانت ولم يبق منهم انسان يذكر ديانته التى جاء يحملها من أفريقيا ، كما فقدوا أسماءهم الأولى واكتسبوا أسماء سادة المجتمع البيض، فلماذا بعد هذا لا يصبحون جزءا من الحياة الأمريكية ؟ هل اللون هو المانع والحاجز بعد كل هذا الذوبان الثقافى والاقتصاى والاجتماعى ؟ .. بل أكثر من هذا يقولون ان قبيلتهم التائهة فى أرض الضياع الاجتماعى هى أثر حى على التحالف الذى قام بين السادة البيض والنساء السود . فلماذا ينكر المجتمع الأمريكى وليده البكر بهذا الشكل الرهيب ؟

ويرى فرازير فى كتابه «النجرو فى الولايات المتحدة» ان النظرية الخاصة بدائرة التذويب قامت أساسا على دور المدرسة العامة التى تمولها الأدوات الحكومية المتعددة . وفيها تتم تربية وتثقيف الأجيال الصاعدة جيلا وراء جيل بحيث يذوبون فى وضعية جديدة تقطع كل صلاتهم كأمريكيين بالمواريث التاريخية والنفسية

والاجتماعية التى حملهـا آباؤهم من أماكنهم الأصلية التى جاءوا منها . ويرى المؤلف الذى ننقل عنه ان الفصل بين الأجناس والقوميات فى المدارس وفى الحياة هو أحد العقبات التى شلت فعالية هـذه الصورة الافتراضية وبمرور الزمن تراكمت آثار الشلل والفشـل فأوصلت المجتمع الى ما هو عليه اليوم . واستطرادا لدراسته يرى ان هناك أكثر من عالم وأكثر من قيم وأكثر من تصور يملأ حياة الزنوج الأمريكيين . ويرى ان جذور هـذه الأوضاع تعود الى عهد الرق وتحطيم كل المواريث عند الفرد الزنجى وما تم من نسيان كامل لكل الأوضـاع العائلية والاجتماعية والقومية الافريقية ، وان ما جاء بعد ذلك من الغاء للرق لم يمنح هؤلاء الزنوج شيئا كجماعة بشرية . ولهذا نجـد الأغلبية أفرادا وعائلات ليست لها تقاليد أو قيم أو مثل العائلات البيضاء ، ونجد ان الاقلية البورجوازية السوداء انما تحاول ان تدخل فى اطار هذه البورجوازية البيضاء وان كان ميراث اللون يقف فى وجهها حتى اليوم . ويجمـل دراسته فى ان الزنجى الامريكى ما زال يحمل وصمة الرق وعلامة الاضطهاد فى نفسه حتى اليوم وهذا يشده الى الابيض

وفى الوقت نفسه يدعوه الى الهرب منه ومن نفسه التى تمتلىء احساسا بالضعف والضيق وكراهية الذات والعداء الدائم للأبيض. وهذا فى رأيه هو الأساس العلمى لتفسير كل الظواهر المنحرفة فى حياة الزنوج فى المدينة وبيئة الحضر من جريمة ودعارة وعربدة وانحراف سلوكى وانهيار فى القيم الاخلاقية وتفكك فى التركيب الأسرى الزنجى ..

المرأة فى اطار التفرقة العنصرية

أصابت الاحكام الصادرة عن المحكمة الفيدرالية العليا البناء القانونى للتفرقة بضربة شديدة وكان استنادها فى هذا الى التعديل ١٤ للدستور الامريكى . ولكن على الرغم من ذلك ظلت دائرة العلاقات الجنسية بين المرأة والرجل بعيدة عن هذا النشاط القضائى . وقد أثير هذا الموضوع بعنف منذ عام ١٩٦٣ عندما نظرت المحكمة العليا فى قضية اتصال جنسى بين امرأة بيضاء ورجل اسود أصدرت فيها محاكم فلوريدا حكما عنصريا

والأصل فى الفكر السائد بين البيض هو التخوف باستمرار من نتائج السؤال التالى : هل تحب ان تتزوج

ابنتك من رجل زنجى اسود ؟ وقد تعرض جنرميردال فى دراسته المنشورة عام ١٩٤٤ عندما وجد أن أى مناقشة لصالح الغاء التفرقة العنصرية تنتهى بتوجيه هذا السؤال واستدعى هــذا جنرميردال ومساعديه ان يتعمقوا فى بحث هذا الموضوع فوجدوا أن بناء التفرقة العنصرية يقوم على منع أى اتصال جنسى بين البيضاء والأسود ، وان كل الجهود مبذولة لسد طريق المساواة الاجتماعية التى لابد أن تؤدى الى الزواج المختلط . وترتيبا على هذا أصبح الجنس موضوعا شائعا فى حديث الزنوج عن التفرقة العنصرية . وقد رأى جنرميردال ان هناك تبريرات لمحاولات منع الزواج المختلط على أســاس ان تنفيذه والسماح به معناه قبول مبدأ المساواة الاجتماعية . وعلى الرغم من هذه التبريرات فالتناقض موجود اذ أن الزواج المختلط والعلاقات الجنسية المختلطة تظهــر فى تركيب المجموعة الزنجية الحالية فى أمريكا . ويقول جنر ميردال ان الأبيض الجنوبى لا يمانع فى الاتصــال الجنسى مع المرأة السوداء ولكنه يثور ضد فكرة الزواج منها كما انه يرفض أى اتصال جنسى بين ابنته البيضاء ورجل اسود ..

وعلى هذا فالمشكلة هى السور الذى اقامه البيض حول المرأة البيضاء لمنع الاسود من الاقتراب منهـا جنسيا ، بينمـا اسـتباحوا الاتصـال الجنسى بالمرأة السوداء • ومن القواعد القانونية المقررة عرفا فى الجنوب أن يشنق الاسود لمجرد اقترابه أو محاولته الاتصـال جنسيا بالمرأة البيضاء ، حتى ولو كان هذا بناء على دعوة شخصية من المرأة البيضاء • وهناك نظريات لتفسير هذا الموقف يشير اليها جنرميردال ، فمنهـا ما يدور حول نقاء وطهارة المرأة البيضاء ومنها ما مرجعه الضمير المتألم بين جنبى الرجل الابيض والذى يخاف ان تعامل امرأته معاملة المرأة السوداء وان تلاقى مصيرها . ومنها من يرى انه ثبت ان المرأة البيضـاء تميـل الى الرجـل الاسـود ولهـذا يمنعهـا الرجل الابيض من هـذا الشغف والضعف نحو الأسود • ومنها ان الرجل الاسود به احساس عميق نحو المرأة البيضاء ولو كان ثمن هذا اللقاء هو الموت • ولهذا يخشى البيض على نسائهم ، ومن ناحية أخرى جرى الأمر فى بعض الولايات على أن تمتد أوضاع المنع لا بالنسبة للزنوج فقط بل الى أجناس أخرى مثل أبناء الملايو وأبناء منغوليا .. الخ

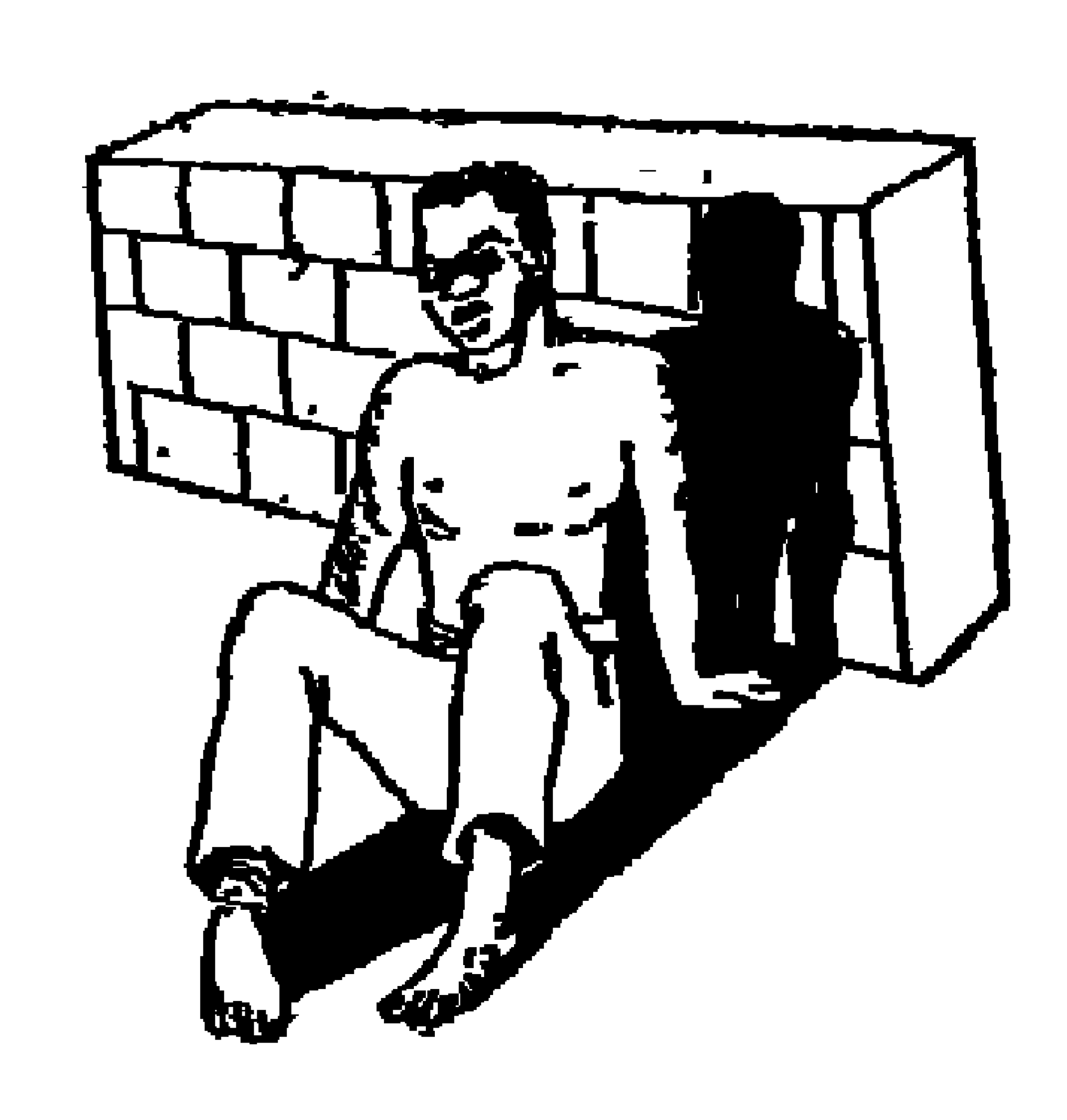
وهناك ١١ ولاية تحتفظ بمثل هذه القوانين اليوم وهى ولايات الاتحاد الجنوبى الذى حارب ضد الشمال فى الحـــرب الأهليـــة • أضف اليهم ولايات ديلاوير وماريلاند وفرجينيا وكنتكى وميسورى وأوكلاهـــوما وأنديانا ووايومنج • وكانت بعض الولايات تتخذ مثل هذا الموقف ولكنها وافقت على الغائه قانونا مثل نبراسكا وأريزونا وأوتا • وقد أثير هذا الموضوع عام ١٩٥٥ فى ولاية فرجينيا حينما أصدرت احدى المحاكم آمرا بالغاء زواج مختلط ، فلما عرض الموضوع على المحكمة العليا أعادت الموضوع لاستكمال البحث والاجراءات • وأمام عدم امكان القيـــام بواســطة محكمة استئناف الولاية بالمطلوب قررت المحكمة العليا اسقاط القضية من جدول أعمالها ..

وقضية فلوريدا هى ان احدى مالكات المنازل فى شاطىء ميامى شكت فى وجود رجل اسود فى شـــقة تستأجرها امرأة بيضاء ، فلما استدعت البوليس حضر ووجد بداخل الشقة بحار أسود أصله من هندوراس البريطانية ، وأقرت المرأة البيضاء فى محضر البوليس انه يعيش معها وتمارس معه علاقات جنســـية . وطبقا

لقانون ولاية فلوريدا يعتبر هذا جريمة طبقا للنص القائل بأن اشتراك أبيض وسوداء أو أسود وبيضاء فى حجرة فى أثناء فترة الليل هو جريمة . وقضت المحكمة بسجن كل منهما شهرا مع دفع غرامة مالية

وسارع المستشارون القانونيون للجمعية القوميــة لتقدم الملونين (صندوق الرصيد القانونى والتربوى) الى مساعدتهما وقدموا استئنافا أمام محكمة الاستئناف . ولما كان القانون يضع عقوبة الزواج المختلط على قدم المساواة مع العلاقات الجنسية المختلطة بدون زواج فقد تحول الموضوع الى المحكمة العليا على أساس هل من حق الولاية أن تطبق قواعد واجراءات خاصة بالمواطنين تختلف من شخص لآخر ومن لون لآخر . خاصة ان القانون لا يعاقب على اشتراك رجل أبيض وامرأة بيضاء فى حجرة واحدة فى أثناء الليل ولو بدون زواج قانونى، وكانت وجهة نظر الولاية ان المحكمة فى قضية سابقة أقرت الأخذ بالقانون السارى فى ولاية ألباما منذ عام ١٨٣٣ والذى يضع عقوبات شديدة على الاتصال الجنسى والعــلاقات الجنسية بين شخصين من لونين مختلفين . وكان تبرير المحكمة لهذا الموقف هو انه لاتوجد تفرقة

عنصرية فى تطبيق القانون ترتيبا على أن تشديد العقوبة فى مثل هذه الحـالة يسرى على الابيض والسوداء أو الاسود والبيضـاء المشتركين فى الجـريمة على قـدم المساواة • وكانت وجهة نظر المحامين ان المحكمة فى عام ١٩٥٩ رفضت الأخذ بقانون ولاية لويزيانا القاضى بعدم مشروعية اقامة مباريات الملاكمـة المختلطة التى يتبارى فيها ملاكم أسود وملاكم أبيض • وكان منطق المدافعين فى قضية اريزونا هو نفس المنطق والتبرير الذى سبق انأخذت به المحكمة فىقضية ولاية الباما . وقد رفضت المحكمة قبولهذا التبرير وأصدرت قرارا ضد اجراءات ولاية اريزونا . ولقد تركت الولايات المتحدة فى منتصف عام ١٩٦١ ولم يكن قرار المحكمة العليا قد صدر فيما يختص بقضية ولاية فلوريدا



الفصل الرابع

وميض النيران ..

الأنبياء فى أرض التيه

أوصلتنا الفصول السابقة الى البيئة الجديدة لحياة الزنوج الامريكيين فى المدينة والحضر وهذا صاحب التغير فى الوضع الاقتصادى الامريكى الى الاقتصاديات الرأسمالية القوية فى الصناعة والزراعة فى الداخل وفى التجارة فى الخارج . وجاءت أحداث الحرب العالمية الأولى لتعلن رسميا ما تم اقتصاديا منذ القرن التاسع عشر . ومنذ بداية القرن العشرين أو ما قبل ذلك بسنوات قليلة كانت الزعامات الكبرى فى حياة الأقلية الزنجية قد بدأت فى الظهور والاصطدام . وفى خلال النصف الأول من القرن العشرين سوف يظهر فى حياة هذه الأقلية ثلاث زعامات كبرى تمثل ثلاثة تيارات

أساسية فى تفكير الحياة الراهنة والحياة المستقبلة بين الزنوج . وفى هذه الفترة سوف تتكون أولي المنظمات القومية العاملة فى داخل هذه الأقلية ..

وقبل ان نشرح أحداث هذه الفترة أضيف ايضاحا لما قلت . لقد عرف الزنوج دور الزعامات ونشاط المنظمات قبل هذا التاريخ . ولكن الرأى الراجح عند جميع الدارسين للمشكلة سواء أكانوا سود اللون أم كانوا بيض اللون . ان الزعامات والمنظمات السالفة لهذه الفترة كانت اما اقليمية أو طائفية ، بمعنى إنها ظهرت لتعمل بين مجموعة بشرية تسكن فى منطقة معينة أو مدينة معينة أو اتباع كنيسة أو طائفة معينة . وان الاجماع بينهم هو ان هذه الزعامات والمنظمات لم ينعكس نشاطها ويظهر أثرها على نطاق قومى يشمل جميع ولايات وبلاد وأراضى الولايات المتحدة كلها . وان كانوا لاينكرون أثرها الفكرى فى ميراث تطور الكفاح من أجل قضية الزنوج الامريكيين . كما ان الاجماع على ان هذه الفترة حملت فى تركيبها وأوضاعها ما هيأ الفرصة لظهور دور هذه الزعامات ونشاط هذه المنظمات على نطاق قومى أحس به جميع الزنوج أو

غالبيتهم فى الولايات المتحدة . ومن الأسـباب انتشار طرق المواصلات والاتصال بين مدن الولايات المتحدة ، تركز الفئات المتعلمـة فى المدينـة الحديثة ، ظهور دور العامل الزنجى والطبقة المتوسطة السوداء ، بدء الاجيال المتعلمة فى الظهور بين الزنوج ، انعكاسات الموقف الدولى ومتطلبات الفترة الجديدة التى ترغب الولايات المتحدة فى النشاط فيها دوليا ، تراكم آثار فشل الحرب الاهلية فى حـل مشكلة الزنوج الامريكيين ، طاقات وقدرات الزعامات الزنجية الجديدة ... الخ ..

وأقدم هذه الزعامات والتيارات الفكرية ظهورا هو بوكر واشنطون الذى بلغ أوج زعامته وتأثيره فى حياة الأقليـة الزنجية مع بداية القرن العشرين ، فكان ان تصدى له وصارعه حتى غلبه الدكتور وليم بورجهاردت ديبويس الذى شارك فى قيادة جماعة نياجارا ثم فى تأليف الجمعية القومية لتقدم الملونين «NAACP» عام ١٩٠٩ وفى قول آخر عام ١٩١١ . وفى هذه الفترة ذاتها تألفت الرابطة القومية للعمـل فى البيئـة الحضرية «N.U.L.» عام ١٩١٢ وفى قول آخر عام ١٩١٠ . وما ان نشبت الحرب العالمية الأولى حتى وفد الى الولايات المتحدة

ماركوس جارفى قادما من جامايكا . وبانتهـاء الحرب العالميـة الأولى كان قـد ارتفع الى مركز الزعامة فى نيويورك ثم فى امريكا وألف الجمعية العالميـة لتقـدم النجرو ونادى بدعوة العودة الى افريقيا . وثارت المعركة عنيفة بين الدكتور ديبويس والجمعية القوميـة لتقـدم النجرو من جانب آخر. وساهم فى جانب الدكتور ديبويس والجمعية القومية زعيم عمـالى ذو نشـاط فى الحزب الاشـتراكى الامريكى وهو فيـليب راندولف الذى سنشهد آثار زعامته العمالية بين الزنوج فى فترة ما بين الحربين العالميتين وما بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ نظم عام ١٩٢٥ رابطة عمال عربات النوم . وخلال فترة الحرب العالمية الثانية هدد بالزحف على واشنطون عام ١٩٤١ ، ان لم يصدر الرئيس روزفلت تشريعات الفرصة المتكافئة للعمل فى الصناعات المتعلقة بالحرب بدون تفرقة لونية وفى عام ١٩٤٢ تكون مجلس المساواة العنصرية «Care» ثم توقف تأليف الجمـاعات والمنظمـات الجديدة الى السنوات الخمسينيات والستينيات من هذا القرن فظهر مؤتمر قيادات الجنوبيين المسيحيين «SCLC» بزعامة مارتن لوثر كنيج ، ثم ظهرت لجنة تنسيق العمل الطلابى السلمى

«SNCC» . وبجوار هـذه المنظمات ظهرت منظمات عدة سوف نشير اليها . منها ما ظهر نشاطه فى نيويورك على هيئة أحزاب يسارية للزنوج ، ومنها ما ظهر فى جمعيات وحركات سوداء . وكل هـذا غير جماعة أمة الاسلام الزنجية التى سنفرد لها فصلا خاصا ..

وقبـل ان نستطرد فى تفاصيـل النشاط والخلافات الفكرية بين هذا العديد من المنظمات والزعامات نذكر ان الفروق الاساسية بين هذه المنظمات تظهر فى موقفين أولهما : تحديد من يشترك فى تنظيم وعمـل المنظمة ، فجميع المنظمات تقوم على أسـاس عمـل مشترك بين الامريكيين البيض والسود من ناحية التنظيم ومن ناحية التمويل فيما عدا ماركوس جارفى وجمعيته وايليا محمد وجماعة أمة الاسلام . وثانى هذه المواقف هو ما يتعلق بالتكتيك والاسلوب والهدف الخاص بالعمل السياسى السلمى وغير السلمى ، القانونى وغير القانونى .. الخ . من ناحيـة الهدف هل هو الاندماج أم الفصـل بين الأجناس .. الخ . وسوف تبدو مناقشة هـذا الموقف فيما يلى من الدراسة ..

كان يوكر واشنطون قد ارتفع الى مركز الصدارة فى

الربع الاخـير من القرن التـاسع عشر بين الزنوج الامريكيين من حيث المركز الاجتماعي والمركز الاقتصادي ، ومن ثم انعكس هذا على علاقاته بالمسئولين فى الحكومة الفيديرالية وفى دوائر المسئولين فى ميادين الاعلام والحكم عامة ، وأسهم فى انشاء معاهد دراسية للزنوج خاصة فى ولاية جورجيا ، وتوطـد مركزه بصـداقته مع البيت الابيض الامريكى ، وألف كتابا يؤرخ فيه لحياته باسم « الارتفاع الى أعلى من مستوى الرق » ويقدم فى كتابه صورة حية لكل زنجى يريد أن يرتفع من القاع الى الطبقة البورجوازية ويصبح ذا شـأن وأوضاع مالية مريحة . وارتبط اسمه بالدعوة الى أن يتعلم الزنجى حرفة أو يتقن مهنة يدوية أو نصف يدوية الأمر الذى يتيح له ولأولاده من بعده مستوى معيشة عادية . وكان يرتب على أفكاره هذه ان تعليم الزنوج الحرف والتدريب المهنى انما يجعلهم فى أمان من ثورة وغضـب البـيض واضطهادهم اذ كانوا يرفضون قبول أية وسيلة تؤدى بالزنجى الى ان يخرج من وضعه الطبيعى الذى تصوروه ميراثا عن أسلافهم . وله عبارة مشهورة فى ان التقـدم الامريكى يشبه اللعب على البيـانو لابد لابداعه من

استعمال الأصابع السوداء والأصابع البيضاء عند العزف . فاذا تم تطبيق هذا على الواقع الاجتماعى الامريكى أصبح معناه اقرار الوضع الراهن فى المجتمع الامريكى ، وان مستقبل الزنجى هو فى تقديس العمل اليدوى والحرفة والتدريب على استعمال الآلة الميكانيكية مع تربية اخلاقية روحية . وحينما أنشأ معهد تاسكجى فى ولاية جورجيا أعلن ان المعهد يعلم القلب واليدين فقط ولايعلم الفكر. ونادى الزنوج الامريكيين فى خطابه المشهور الذى ألقاه أمام البيض قائلا : « ضعوا احمالكم حيث أنتم وقفوا للعمل » ..

ويعلق فرازير على تحمس البيض لبرامج يوكر واشنطون وتأييدهم لمناهجه التربوية ، فيقول : ان هذا دليل على نظرتهم الاحتقارية للزنجى . فهم يرونه فى وضع أدنى من أبنائهم ولهذا يتحمسون لتعليمه التدريب المهنى والحرف الصناعية ، على حين ان مدارسهم ومؤسساتهم التعليمية لا تتطلب من أبنائهم هذا النوع من التعليم ، وفى هذه الفترة من العمر بالذات ، ويزيد الدارسون الآخرون من بين الزنوج للقضية على ان يوكر واشنطون بحصوله على تأييد البيض وتحمسه

لدوام هذا التأييد كان يعبر عن آمال ودور البورجوازية السوداء وما ترسمه لنفسها من دور ومستقبل فى المجتمع الامريكى . ويحكم البعض على حركته بأن ما أصابها هو نفس الضعف الذى أصاب كل المنظمات السوداء الأخرى حين تعاونت مع البيض ، وان هذا التعاون زرع فى قلوب الجماهير الزنجية بذور الشك والخوف من دور هؤلاء البيض . ويضيف البعض ان بذور الشك والخوف والكراهية كانت موجودة وليست فى حاجة الى زراعة جديدة أو نمو جديد . ولهذا علق عليها رالف بانش حينما كان يساعد جنرميردال فى دراسته عن النجرو فى امريكا بأنه لم تكن لها قاعدة جماهيرية ومثل هذا قاله أيضا فى ذلك الوقت على الجمعية القومية لتقدم الملونين . ويعلق جنرميردال على هذا الموقف عامة (التعاون بين الزنوج والليبراليين البيض) بأن التركيب الابيض للسلطة قد امتص فى داخله زعامات الزنوج وطاقاتهم بأن أظهر اهتمامه وعنايته الخاصة ببعضهم دون البعض الآخر ، ومن ثم فشعور اليأس هو الجو الغالب فى محيط القضية ، وانه ما دام العمود الفقرى للعمل لقضية الزنوج لا يصل الى أكثر من مساومات ومهادنات

مع البيض الراغبين فى الحلول النصفية فسيظل الزنوج طول العمــر يحتلون دور الشريك الأصــغر الضعيف الصامت فى تحالف زنجى ليبرالى ، يظهر على قمته العليا شخص أسود اللون ولكنه فى الحقيقة خاضع خضوعا مطلقا لأحكام البيض وخططهم التكتيكية والاستراتيجية ويضيف الأستاذ جيمس ويلسون فى كتابه عن «سياسات النجرو » بأن هؤلاء الزنوج هم أغراض وأهداف العمل المدنى فى الولايات المتحدة . فالأشياء تصنع لهم وبواسطة غيرهم ، وسبب هذا هو انهم نجرو وانهم لا يصنعون شيئا لأنفسهم وبأنفسهم ..

وفى مطلع القرن الحالى أعلن الدكتور ديبويس رفض هذا الاتجاه الذى نادى به بوكر واشنطون ناعتا اياه بأنه مهادنة للبيض وأكثر من هذا اعتبره خيانة للقضية السوداء . واعتبر دعوة بوكر واشنطون دعوة لخلق بورجوازية سوداء وتأكيد وجودها وسيطرتها ، وان هذه البورجوازية السوداء تقف حيث هى فى وســط الزنوج تعمل وتستثمر وتكسب وبهذا تغرق فى أطماعها الخاصة وتنسى القضية . وبهذا دعا ديبوا الى تعلم الفكر ومناقشة النظريات والفلسفات وأكد ان أى تقــدم فى

حياة الزنوج الامريكيين لن يكون الا بالغاء التفرقة العنصرية ومنحهم المساواة المطلقة وتمتعهم بالحقوق والحريات الأساسية المماثلة لحريات وحقوق الرجل الأبيض ، وقال : ان الطريق هو الاندفاع الى التعليم والثقافة بين شباب الزنوج الامريكيين . وكان بوكر واشنطون يرى المعركة فى داخل امريكا على أساس أفكاره التى عرضناها وكان ديبوا يراها أيضا فى داخل المجتمع الامريكى على أساس أسبقية مبادىء العمل السياسى . ولكنه زاد على هذا بأن روج لفكرة الجامعة الافريقية (بان افريكانزم) على اساس تضامن الجنس الزنجى فى العالم أجمع للوقوف ضد التفرقة العنصرية وعلى أساس منحهم حق المساواة والفرص المتساوية مع غيرهم من الأجناس . وترتيبا على هذا حضر الدكتور ديبويس مؤتمر الجامعة الافريقية الأول فى لندن عام ١٩٠٠ ثم دعا باسم الجمعية القومية لتقدم الملونين الى عقد مؤتمر الجامعة الافريقيــة فى باريس عام ١٩١٩ ، وتوالت بعد هذا المؤتمرات حتى انعقد آخرها عام ١٩٢٧ , وحالت الأزمة الاقتصادية العالمية دون توالى عقد المؤتمرات ، حتى عقد مؤتمر الجامعة الافريقية فى

مانشستر عام ١٩٤٥ وحضره بجوار الزنوج الامريكيين زعماء شباب وطلاب افريقيا لأول مرة ..

وقــد أثرت أفكار الدكتور ديبويس فى خلق حركة نشاط فى أوساط المثقفين الزنوج فى مطلع هذا القرن . الأمر الذى جعله يدعو الى عقد مؤتمر بجوار شلالات نياجارا عام ١٩٠٥ . واطلقت الجماعة التى حضرت المؤتمر على نفســها اسم حركة جماعة نياجارا . وتوالى عقــد المؤتمرات عام ١٩٠٦ وعام ١٩٠٧ ، ثم حدث اتصــال بين هذه المجموعة وجماعات من الليبراليين البيض فتألفت منهم جميعا الجمعية الوطنية لتقدم الملونين عام ١٩٠٩ ، وفى قول آخر عام ١٩١١ . والجمعيــة تمثل تحالفا بين الليبراليين البيض والمثقفين السود . وأول نقد لتكوين الجمعية هو ان كل اعضاء اللجنة العليا فى تنظيمها او ما يشبه مجلس الادارة كانوا من الليبراليين البيض فيما عدا الدكتور ديبويس الذى تولى رئاسة تحرير مجلة الجمعية المعروفة بإسم الأزمة « كرايزز » ..

وقد التزمت الجمعية القومية لتقدم الملونين منذ يومها الأول خط العمل القانونى فى المحاكم لالغاء تشريعات معينة أو مســاندة قضــايا للحصول على أحكام معينة

تتعلق بتحسين أوضاع الزنوج . وفى الفترة التى شارك فيها الدكتور ديبويس فى نشاط الجمعية (استقال من عضويتها عام ١٩٣٤) تكون لها رأى عام بين المثقفين وذوى الياقات البيضاء . وقد دخلت الجمعية فى صراعات فكرية عنيفة مع ماركوس جارفى وجمعيته العالمية لتقدم النجرو ، ومع الحزب الشيوعى الأمريكى . وقد وجه نقد عنيف وطويل الى هذه الجمعية ودورها فى حياة الزنوج الامريكيين خاصة فى سنواتها الأخيرة . وقد أشرنا الى رأى رالف بانش بالنسبة للجمعية فى السنوات الاربعينيات من هذا القرن بأن سبب ضعفها فى رأيه هو تنظيمها على أساس اختلاط الأجناس الأمر الذى دعاها الى القناعة برد فعل العمل الأبيض . وان الدور الأعظم فى نشاطهـا يأتى نتيجة مبـادءة البيض من ليبراليين ومبشرين ووعاظ كنائس ، مع تمسك شديد بأن تظل المنظمة فى دائرة هيبة الاحترام والمسئولية بمعنى عدم الخروج عن القواعد الاساسية للسلوك التى رسمها البيض للمجتمع والعمل السياسى فيه . ومن الأمور المثيرة للعجب فى شخصيات الزعامات الزنجية ان رالف بانش تخلى عن آرائه فأصبح عضوا فى مجلس ادارة

الجمعية ولما هاجمها آدم كلايتون باول النائب الزنجى لنيويورك عام ١٩٦٣ بنفس المنطق رد عليه بانش ردا عنيفا متهما اياه بأنه عنصرى التفكير وألعوبة فى يد دعاة الحرب العنصرية بين الناس

وقد تعرض لوماكس وهو زنجى أيضا لهذه الجمعية وانتقدها قائلا بأن كثيرا من زعاماتها والمسئولين فيها لا يلتزمون بخطهما السياسى العام ، وانهم يفتقدون القاعدة الجماهيرية وليس لهم كزعماء للمنظمة اى عمل جماهيرى وقال ان المعارك القانونية والسياسية التى خاضتها الجمعية جعلتها اليوم ساكنة راكدة النشاط يتزعمها المحافظون . ويسيطر على جميع فروعها فى الولايات المتحدة البورجوازيون السود والليبراليون البيض . كما ذكر لوماكس فى كتابه « ثورة الزنوج » ان اليهود يشكلون النسبة الكبرى من هؤلاء البيض العاملين فى المنظمة وتساءل : لماذا ينضم اليهود الى الجمعية على حين ترفض جميع الجمعيات اليهودية قبول عضوية أو زعامة أمريكى غير يهودى الدين . وضرب مثلا بما حدث عام ١٩٦٠ حين اعتزل ثيرجود مارشال عمله كرئيس لصندوق الرصيد التربوى والقانونى التابع للجمعية (وهو من ناحية

الوضع التنظيمى والقانونى منظمة قائمة بذاتها منذ عام ١٩٥٥) فقد خلفه جاك جرينبرج وهو يهودى الدين . وأثار هذا انتقادات عدة على أساس ان هناك من الزنوج من يصلح لشغل هـذا المنصب . ويذكر لوماكس ان الرئيس القومى للجمعيـة هو آرثر سينجارن يهودى الدين وفى هيئة مجلس الادارة يوجد أعضاء كثيرون من اليهود . وكذلك فى هيئة صندوق الرصيد التربوى والقانونى ، كما أثار الكاتب الذى نستند الى أقواله ان النقابات العمالية البيضاء والجمعيات الطائفية المتعددة للأقليات فى الولايات المتحدة تمول الجمعيـة القوميـة لتقـدم الملونين . ومن ثم يكون لها دور فى نشـاط وسياسة هذه الجمعية . ويختتم لوماكس مناقشته هذه بأن اليهود ضد مبـدأ الاندماج والتذويب فى المجتمع الامريكى على حين ان الزنوج يطلبون هذا الوضع وهذا المبدأ . وان مفهوم الزنجى عن الوطن يتناقض مع مفهوم اليهودى الصهيونى عن الوطن . وانه توصـل الى ان حركة الحقوق المدنية من وجهة نظر اليهود قضية انسانية وليست قضية خاصة بالزنوج . ولذلك فهو يتساءل : كيف يتم هذا التعاون ؟ .. ولمصلحة من ؟ .. وما هى

أهدافه ؟ ..

وعموما لايوجد خلاف فكرى أو تنظيمى بين الجمعية القومية لتقدم الملونين وبين عدد من الجمعيات والهيئات الأخرى وهى الرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية ومجلس المساواة العنصرية ومؤتمر قيـادات الجنوبيين المسيحيين ولجنة تنسيق العمل الطلابى والسلمى. وفيما غير هذا يتناقض عمل هذه الجمعيات والهيئات مع غيرها من الجماعات الراديكاليـة واليسـارية وجمـاعة أمة الاسلام . وأخيرا تم تكوين نوع من التنظيم الذى يضم زعامات هذه الجمعيات المتفـاهمة مع الجمعية القومية لتقدم الملونين ويشـغل منصب سكرتيره العام بايارد رستين محرر مجلـة ليبريشن ، والسكرتير العام الحالى للجمعية القومية لتقدم الملونين هو روى ويلكنز ..

واذا انتقلنا بعد ذلك الى الرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية نجدها أيضا قامت على أساس تحالف زنجى ليبرالى أبيض . وعملها أقرب الى نشاط الخدمة الاجتماعية والارشاد الاجتماعى وحل مشاكل الاسكان والعمل والعلاقات الاجتماعية . وهى معنية أولا بالبحث عن وظـائف للزنوج وحل مشكلاتهم عنـدما يصلون

للمدينــة لأول مرة ويمولها البيض . ولم يظهر لها أى نشاط قانونى مطلقا كما ان نشاطها السياسى معدوم . ومن ناحية مجالهــا المتخصص تعتبر أكبر الجماعات فى هذا الميدان . ويحكم عليها لوماكس بأنها فقدت دورها السياسى واقتصرت على ما يشــبه مكتب التوظيف . وسكرتيرها العام هو وايتنى يونج

ننتقل بعد هذا للحديث عن ماركوس جارفى ودوره فى تاريخ حركة الزنوج الامريكيين ولقــد أرخ لحياته الكاتب الامريكى دافيد كورونون تحت اسم « النبى موسى الأسود » . وجميــع الدراســات الأخرى مع اختلافها مع بعضها ومع هذا المؤلف ، فان الاجماع هو ان اسم ماركوس جارفى هو أقوى الاسماء وأشهرها فى حركة الدعوة للعودة الى افريقيا . هذا مع انه لم يضع قدمه مطلقا على أرض افريقية ولم ينجح فى تهجير أية مجموعة بشرية من الزنوج الامريكيين الى افريقيا أرض الآباء والأجداد كما كان يسميها . ولقد منح جارفى نفسه لقب الرئيس المؤقت لافريقيا وبعد نفيه من أمريكا عاد الى جامايكا ثم استقر فى لندن حيث مات عام ١٩٤٠ ، وهناك منح نفسه لقبا جديدا هو أسد نوميديا . ويمكن

القول بدون خطأ ان حركة جارفى ودوره قد انتهيا بخروجه من أمريكا وان ظلت جماعات متناثرة فى أمريكا وفى البحر الكاريبى تدين له بزعامتها ويؤمن بعضها بعودته على نمط المسيح المنتظر أو المهدى المنتظر فى المسيحية والاسلام . وسوف نناقش انعكاس آثاره الفكرية فى فصل قادم عندما ندرس فكرة القومية السوداء فى أمريكا والجماعات الداعية لها ..

ولقد أثار ظهور جارفى وعمر حركته القصير فى أمريكا عدة موضوعات تتعلق بالدعوة للعودة الى افريقيا ومغادرة الأرض الامريكية التى لا مستقبل فيها للرجل الأسود . وأول هذه الموضوعات هو انه ادخل المواطن العادى فى النشاط السياسى الزنجى لأول مرة . فلقد وصل عدد أنصاره فى أوج نشاطهم الى ستة ملايين عضو وكانت غالبيتهم الساحقة من سكان المدن ومن الزنوج البسطاء ذوى المهن والحرف الصغيرة والذين كانوا يعيشون فى جيوش البطالة مددا طويلة . وكان سلاح جارفى فى اجتذاب هؤلاء الزنوج فى هذا الشكل الواضح الى ميدان العمل السياسى ، هو انه قدم اليهم أملا يشفيهم من اليأس المرير القاتل الذى لف حياة الزنوج

بانتهاء الحرب العالمية الاولى . فقد عاشوا أياما متفائلة مع وعود ويلسون وأمانى عالم الديموقراطيــة والحرية بعد الحرب وأحلام المساواة وانقضاء مظالم العنصرية والتفرقة . فاذا بالحرب تنتهى ويجتــمع المنتصرون فى فرساى لتقسيم العالم ، واذا بالمجتمع الامريكى يعود سيرته الأولى قبل الحرب ، وتشتد حملة التفرقة العنصرية وتشهد مدن الشمال الامريكى حوادث اضطهاد الزنوج والاضطرابات العنصرية خاصــة عام ١٩١٩ ، وتعــاود جمعية كلوكس كلان نشاطها فى ارهاب الزنوج وقتلهم مع غيرها من الجمعيات العنصرية البيضاء ..

والذى هيأ لجارفى هذه الامكانية فى تجنيد الأنصار على نطاق جماهيرى هو الهجرة الزنجية من الجنوب الى مدن الشمال والوسط والغرب قد ارتفعت كما أشرنا من قبل ، وفى نفس هذه الفترة كانت زيادة غددهم فى بيئة المــدن والحضر قــد أثارت مشكلات العــلاقات الاجتماعية والاسكان والعمل وتربية الأطفال .. الخ . وكانت الجمعية القومية لتقدم الملونين وجمعية العمــل فى البيئة الحضرية قد باشرت نشاطها مع بداية العقــد الثانى من هذا القرن ..

أما الموضوع الثانى فهو ان جارفى اشترط فى أعضاء جمعيته أن يكونوا من الزنوج ذوى الدم النقى أى انه رفض عضوية الخلاسيين . واقتضاه هذا أن يرفع شعار الدم النقى والجنس الخالص وأن يهاجم ذوى الدم المختلط على أساس انهم صورة باهتة للرجل الأبيض ورمز جريمته نحو الجنس الزنجى . وان هذه التفرقة ضرورية كمقدمة للتفرقة بين الرجل الابيض وظله الخلاسى وبين الجنس الأسود الذى يجب ان تكون له أرض خاصة يعيش فيها منفردا . وان هذه الأرض هى افريقيا التى تتكون فيها أمة سوداء لها وطن خاص . وهذا الموضوع الثانى أثار على جارفى الهجوم من جانب الخلاسيين وهم كما سبقت الاشارة يكونون الطبقة البورجوازية وفئات المثقفين بين الزنوج . وقد تبادل الطرفان شتائم مقذعة واتهامات عديدة ، وقاد الهجوم ضد جارفى الدكتور ديبويس ، وفيليب راندولف بجوار الجمعية القومية لتقدم الملونين وجمعية العمل فى البيئة الحضرية . واتهموا جارفى بأنه مغامر انتهازى لايعرف شيئا عن حقائق التكوين البيولوجى والتاريخى للزنوج الامريكيين ، وانه يقدم مخدرا لهؤلاء الزنوج فى صورة

الوعد بأفريقيا وطنا خالصا للجنس الأسود ، وان المستقبل الحقيقى أمام الرجل الأسود هو أن يكافح فى أمريكا وأن ينتصر ضد التفرقة العنصرية لا أن يهرب الى عالم خيالى لايمكن تحقيقه ، ورد عليهم جارفى بأن الزنجى لن يتحرر الا اذا كون أمة لها حضارة ، وانه ليست هناك حدود لأزمة الزنوج المعاصرة وقتذاك الا اذا تحررت افريقيا ..

وقد أدخل جارفى افريقيا فى حياة القضيـــة الزنجية بشكل أوضح وأعنف مما حاوله من قبله دعاة الهجرة الى افريقيا وفى مقدمتهم الجمعية الامريكية للاستعمار التى أنشأها الليبراليون البيض عام ١٨١٦ وأسهمت فى انشاء ليبريا فى افريقيا . ولقد أدخلها جارفى بقوة لأنه كان يحلم بجنس اســود نقى فخور بســواده لايشعر بالنقص تجاه نفسه ولا يشعر باحتقــار أحد له بسبب لونه الاسود . لقد كانت صيحته المــألوفة فى جماهير أنصاره هى :

« انهضوا أيها الجنس المختار .. انكم تستطيعون تحقيق ما تريدون اذا ما تحركتم وامتلــكتم الارادة الحرة » ..

ولقد أوغل جارفى فى التخيلات والتهيؤات وجمع أموالا عديدة أنشأ بها شركة ملاحية تحمل اسم « النجمة السوداء » وهى الشركة التى سوف تحمل الزنوج الى افريقيا . كما صنع لجمعيته علما اسود وألف فرقا من أنصاره أطلق عليها أسماء فيها صفة السواد . ومنح أنصاره ومساعديه ألقابا للتعظيم والتشريف تحمل أسماء افريقيا وصفة السواد . وكان يستعرض أنصار مؤيديه فى شوارع هارلم فى تشكيلات شبه عسكرية مع أنواع من الموسيقى الحماسية . وعلى الرغم من كل هذا فقد انهارت أحلامه حينما رفضت ليبريا استقبال بعثة أوفدها لتبحث امكانيات تهجير الزنوج الامريكيين اليها . وبعد ذلك اتهمه أعداؤه بتبديد الأموال التى جمعها . وفعلا أثبت القضاء الاتهام وذهب جارفى الى السجن . وعفا عنه الرئيس الامريكى عام ١٩٢٧ بشرط مغادرة الولايات المتحدة وفعلا غادرها الى جامايكا وانتهى أمره سياسيا بعد حين ..

وقد كثرت التعليقات على حركة جارفى ودعوته . فيراها الدكتور رالف بانش دعوة للهروب المطلق وقد

أثبت رأيه فى دراسة جنرميردال عن الزنوج الامريكيين، وعلى نقيضه اشـاد الرئيس نكروما بدور جارفى فى تأريخه لحياته الذى نشره باسم « غانا » فقد ذكر انه تأثر به حينما كان يطلب العلم فى أمريكا . وقـد ظل الدكتور ديبويس مصرا على موقفه فى معارضة جارفى على أساس ان افريقيا للافريقيين وليس على اسـاس العودة الى افريقيا كما دعا جارفى . وهنـاك اتهامات عديدة حول جارفى تقول بأنه تسلم أموالا بصفة سرية من جمعيات عنصرية بيضاء يهمها نجاح حركة العودة الى افريقيا وتهجير الزنوج الامريكيين من الولايات المتحدة ..

وسنعود مرة ثانية الى مناقشة آراء جارفى الخاصة بالقومية السـوداء فى امريكا عنـدما نناقش أفكار جماعة أمة الاسلام فى دعوتها الى الفصل بين البيض والسود فى امريكا ..

وفى دراسة هذه الفترة لابد من الاشارة الى آثارها الأدبية والفكرية بوجه عام ، فقـد انعكست آثارها بظهور جمـاعات من الأدباء والـكتاب والشـعراء والرسامين والذين يطلق عليهم اسم مدرسة « البعث

والنجرو الجديد » . « رينسبانس اند نيو نجرو » .
وهذه المدرسة لم تشترك مطلقا فى النشاط السياسى والصراع التنظيمى الذى أشرنا اليه فى فترة النصف الأول من القرن العشرين . وأفراد هـذه المدرسـة أشادوا بافريقيا وغنوا للزنجى وترنموا بروعة اللون الاسود . وهذه المدرسة هى المدرسة الرومانسية التى غنت للماضى وللأحـلام الرومانسيـة وأعلنـوا مولد الزنجى الجديد . واسـتخدموا أساليب جـديدة فى الكتابة والتعبير وطرقوا موضوعات عدة منها تعظيم البدائيـة ودور الزنجى الحضـارى ومشكلة الزنجى المعاصر ... الخ . ونذكر من بينهم رينشارد رايت ، ورالف ايليسون ، ولورين هانزبرى ، وجيمس بالدوين ولانجستون هيوز ، وكلود ماكاى ... الخ ..

واحتراما لعـدم تخصصى فى الدراسـات الأدبيـة والفنية لا أستطيع الاشارة اليهم بأكثر من هذا وأدعو الدارسين المتخصصين الى تناول الموضوع ، خاصـة وان الاستاذ سانت كليردريك (زنجى امريكى متخصص فى الدراسات الافريقية الاجتماعية) يرى ان جذور الدعوة للزنوجة (الزنجية فى بعض التراجم العربية)

ـ أى نجرتود ـ تأتى من ان المثقفين فى جزر الهند الغربيــة وبالــذات فى هاييتى تأثروا فى الســنوات العشرين فى هــذا القرن بموجة البعث الفكرى التى اجتاحت الزنوج الامريكيين فى سنوات الحرب العالمية الاولى وما بعدها . وقد حدث بعد ذلك تغير جذرى فى المناخ الفكرى الامريكى وبالذات لعــدد كبير من هؤلاء الادباء والشــعراء الذين أشرنا اليهم . ولكن ظل المنــاخ الثقــافى والفكرى فى هاييتى والمارتينيك وجواديلوب كما هو حتى ورث الدعوة المثقفون الزنوج فى باريس ثم عبرت البحر الأبيض لتنتشر فى افريقيــا الناطقة باللغة الفرنسية . وهو فى اشارته الخاصة بأمريكا انما يقصد الفترة التاريخية التى تعرضنا لها بالدراسة فى هذا الفصل . ومن ناحيــة أخرى أشــار الرئيس سنغور الى هذا عام ١٩٦٢ عندما زار الولايات المتحدة فى حفل أقامه الرئيس الراحل كيندى فقال ان شعراء وكتاب فترة الانبعاث فى السنوات العشرينيــات من زنوج امريكا هم رواد وملهمــو القــائلين بدعــوة النجرتود حاليا . وقيمة هــذه الدعوة من الوجهــة الفكرية انها اصبحت علما على مجموعة من الافريقيين

الناطقين باللغة الفرنسية ..

وبالنسبة للمعركة الثانية الكبرى التى شهدتها هذه الفترة ، وهى المعركة الفكرية والتنظيمية التى ثارت بين الجمعية القومية لتقدم الملونين وقسم هام من المثقفين الزنوج من جانب وبين الحزب الشيوعى الامريكى من جانب آخر . وبدون اغراق فى التفاصيل نجمل الاطار العام للمعركة فى النقاط التالية :

ان اتصال الزنوج بالفكر الاشتراكى سابق على الحرب العالمية الاولى . فقد كان الحزب الاشتراكى الامريكى يمارس نشاطا واسعا ، وهذا قد اجتذب بعض المثقفين الزنوج مثل : فيليب راندولف ، وشاندلر اوين ثم انضم اليه الدكتور ديبويس عام ١٩١١ . ولكن جماهير الزنوج الامريكيين لم تسهم فى النشاط الجماهيرى للحزب ، ومع هذا كانت المنظمات الزنجية والزعامات الزنجية تعمل بجوار هذا الحزب ، ولكن قيام الثورة البلشفية فى روسيا القيصرية عام ١٩١٧ ، أدى الى انشقاق هذا الحزب تماما كما حدث فى باقى العالم وظهر الحزب الشيوعى الامريكى . وفى عمل الحزب الشيوعى لتجنيد الانصار من بين جماهير

الزنوج الامريكيين تصادم مع المنظمات والجمعيات الزنجية وفى مقدمتها الجمعية القومية لتقدم الملونين وأيضا اصطدم الحزب بقيادات الجمعية وخاصة الدكتور ديبويس ..

وثارت نقط خلاف عديدة يمكن ان نجملها فى موضوعين : اولهما وحدة الطبقة العاملة ، وثانيهما اقتراح انشاء ولاية زنجية خاصة بالزنوج الامريكيين. وفى كلا الموضوعين فشل الحزب الشيوعى ومرجع فشله فى الموضوع الاول ان ميراث الفصل والتفرقة بين الابيض والاسود لم يكن شيئا هينا فى المجتمع الامريكى كما ان النقابات البيضاء لم تقبل مبدأ الاندماج ، ومن جانب آخر كانت الاداة الحكومية الامريكية باطشة فى عنفها وفى مطاردتها للشيوعيين خاصة وان عددا كبيرا من زعمائهم كانوا من الاقليات القادمة من وسط وشرق اوروبا ، وهؤلاء تم ترحيلهم خارج البلاد فى أوائل السنوات العشرينيات وفى اوائل السنوات الثلاثينيات . وبالنسبة للموضوع الثانى اقترح الحزب انشاء الولاية الزنجية ورفعوا هذا الشعار عاليا خاصة عام ١٩٢٨ ، وقد تصدت لهم

قيـادات الحركة الزنجية التى اشرنا اليهـا من قبـل وعاركوهم عراكا فكريا شديدا . وقد انعكس هـذا العراك فى صورة اتهامات متتالية للدكتور ديبويس اذ نعته الشيوعيون بالبورجوازية وانه من النخبة المثقفة المنفصلة عن الجماهير . وسبب هذا ان الدكتور ديبويس هاجم نظرية الصراع الطبقى قائلا ان العمال الامريكيين البيض يكرهون العمال الامريكيين الزنوج ويمنعونهم من الانتظام فى المنظمات والنقابات العمالية ، وان ثورة البروليتـاريا البيضاء لا تحل مشكلات البروليتـاريا السوداء وانه لابد من الاقرار بوجـود تقسيم طبقى وتقسيم لونى ..

وعلى الجانب الآخر من الصراع نجد زعيما زنجيا آخر هو جورج بادمور ينضم الى الحزب الشيوعى عام ١٩٢٠ وذهب الى الاتحاد السوفييتى وترقى فى داخل المنظمات الشيوعية الى ان اصبح رئيس مكتب النقابات العمالية التـابع للكومنترن (البروفينترن) واصبـح سكرتير اللجنة الدولية للنقـابات العماليـة السوداء ورئيس تحرير مجلة العامل الزنجى . ولكن بادمور بدأ يشعر باختلافات فكرية مع الشيوعيين منذ عام ١٩٣٠

حتى انفصل عنها عام ١٩٣٥ . واصدر بيانا فى الصحف اثر تصفية هذه اللجنــة الدولية يتهم فيــه ستــالين بتصفيتها اثر تفاهم بينه وبين الدول الغربية صاحبـة المستعمرات فى افريقيا وجزر الهند الغربية تمشيا مع تكتيكات الجبهة الشعبية التى نادى بها الشيوعيون فى تلك الفترة ضد النازية والفاشية . وقد ذكر بادمور فى بيانه المنشور فى مجلة الازمة التى تصــدرها الجمعية القومية لتقدم الملونين ان هــذه التصــفية تمت بدون استشارة العاملين فى اللجنة والقيادات الزنجية فىالحركة الشيوعية والنقابية الدولية ..

وقد شرح بادمور موقفــه فى انه تبين ان الحركة الشيوعية قد ضحت بقضية اثيوبيا ومقاومتها للعدوان الايطالى فىسبيلالمحافظة على مصالح الوطنالاشتراكى الأب وهو الاتحاد السوفييتى . وهذا قد أدى به الى استنتاج إن الاتحاد السوفييتى يتخلى عن تأييدشعوب المستعمرات ما دام هذا فى مصلحته الدولية . وايضا وصــل به الاعتقاد الى ان الماركسية هى الابنة البكر لتجربة غرب اوروبا فى التطور التاريخى الاجتماعى ، وانها عموما لا تصلح للتطبيق فى المســائل والمشكلات

الاستعمارية التى تتصل بالشعوب السوداء والصفراء

ونحن نذكر الدكتـور ديبويس وجـورج بادمور لأنهما مارسا تأثيرا هاما فى التفكير الاشتراكى لدى عديد من زعماء افريقيا الناطقة باللغة الانجليزية وفى مقدمتهم الدكتور نكروما وزعماء نيجيريا وتنجانيقا وكينيا ..

وايضا ظهرت آثار موقف بادمور فى انضمام عـدد من الزعماء الزنوج اليه مثل ماكونين من غيانا البريطانية وهاريسون من الولايات المتحدة وكينياتا من كينيا ، وجيمس من ترينيداد ، وقد أنشأوا فى لنـدن حركة تقوم على اساس الايمان بالفكر الماركسى بدون التزام بالتجربة السـوفييتيـة والخط السـياسى للحكومة السوفييتية والحزب الشيوعى السوفييتى . وكان هذا قبل انعقاد مؤتمر مانشيستر عام ١٩٤٥ وهو المؤتمر الذى تقابل فيه كل هؤلاء الزعماء مع زعماء الشباب والطلاب القادمين من افريقيا ، والذى انعقد تحت اسم مؤتمر الجامعة الافريقية وتفصيل هذا الموضوع بكتاب « فكرة الوحدة الافريقية » الذى نشرته بالقاهرة عام ١٩٦٥

الفصل الخامس

استيقظوا أيها الموتى..

الثورة على الأبواب

آثار الحرب العالمية الثانية وما بعدها من أحداث على المسرح العالمى وفى داخل كل دولة ـ تظهر أيضا فى قضية الزنوج الامريكيين ، فهم بشر كغيرهم من الناس فى العالم ، ومجتمعهم الذى يعيشون فيه قد أحس آثار هذه الحرب وعاش أحداث عالم ما بعد الحرب ونجمل هذه الآثار فيما يلى بالنسبة لدراستنا الحالية :

أولا : نتج عن دخول الولايات المتحدة الحرب ان أرسلت قواتها العسكرية فى اعـداد ضخمة الى جميع ميادين الحرب ، كما ان صناعاتها قد نمت نموا ضخما ، وقد عبأت كل قواها ومواردها لصالح هذه الحرب .

ترتب على هذا ان اعدادا كبيرة وفى صورة مستمرة من الزنوج الامريكيين دخلوا دائرة هــذه الحــرب اما كمقاتلين فى الجيوش واما كعاملين فى الخدمات المطلوبة للحرب خارج أمريكا واما كعمال يشتركون فى ســد حاجة هذه الصناعات وهذه الطاقات الى قوى بشرية لتشغيلها . وقد سبق ان شرحنا هجرة الزنوج من الريف والبيئة الزراعية الى المدينة والحضر ودلت الارقام على انهم هاجروا الى المدن الحديثة فى الجنوب وفى خارج الجنوب . وهذه الهجــرة قد أوجدت من المشــكلات الحديثة ما بدأت آثاره تنمو وتتعصر فى هذا المجتمع الامريكى الذى كان فى أعماقه يؤمن بالتفرقة ويحتقر الزنجى ويرى قدراته وطاقاته فى صورة منحطة ، وكان فى نفس الوقت مضطرا تحت ضغط الحاجات العسكرية والاقتصادية التى تتطلب الأيدى العاملة والقوى البشرية الى ان يعترف بدورهم فى العمل والانتاج .

وكما قلنا فان الزنوج الأمريكيين تكدسوا فى قلب المدينة « الغيتو الأسود » ، وترتب على هذا مشكلات الاسكان والتعليم والتــدريب ورفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل وبجانب هذا مشكلات البطالة والانحراف

.. الخ . وفى هذه البيئة وهذا المناخ لم يحمل هؤلاء الزنوج ابناء المدينة المقيمين فيها أى ولاء سياسى لأى منظمة زنجية من التى اشرنا الى تكوينها فيما سبق من التاريخ . كما ان تفكيرهم والضغوط التى عانوها لم تقبل الانتظام والانضباط اللازمين للولاء لهذه المنظمات القديمة ، ومن هنا فكر فريق من الشباب الزنجى مع فريق من الليبراليين الامريكيين فى أن يواجهوا الموقف بخطوة أكثر راديكالية مما سبق ، ولهـذا تألفت عام ١٩٤٢ منظمة زنجية جـديدة باسم « مجلس المسـاواة العنصرية » وتحمل هذه المنظمة كل سـمات المنظمات السابقة ولكنها تزيد عليها فى ان الذين اقاموها يؤمنون بامكانيات الأخذ بنماذج من المقاومة السلمية فى سبيل الغاء التفرقة العنصرية . ويقول جيمس فارمر الرئيس القومى لهـذه المنظمة (بعـد أن انفصل عن الجمعية القومية لتقـدم الملونين) انه يؤمن بفعالية وسـائل المقـاومة السلمية نقـلا عن غاندى الهنـدى وثورو الامريكى ، وان هذه الفلسفة « المقاومة السلمية » تتيح تربية أجيـال من المكافحين الزنوج يتصفون بنضـوج عاطفى وتدبير عقلى لا تهزهم الاستفزازات والتهجمات

من جانب البيض ويمثلون نماذج ناجحة أمام باقى المجموعة البشرية سوداء اللون . وبهذه الفلسفة الجديدة تمثل المنظمة خطوة تقدمية عما سبقها من منظمات ، ولكن كما سنلاحظ ان هذه الفلسفة فى النصف الثانى من الاعوام الخمسينيات والنصف الأول من الاعوام الستينيات لم تعد خطا سياسيا يملأ عقول ونفوس الزنوج الذين طالبوا بتخطيها والأخذ بأساليب العمل السياسى المباشر

وقد أسهمت هذه المنظمة فى أعمال التربية والعلاقات الاجتماعية والتوعية الثقافية وتهيئة السبل لمعالجة الانحراف الاجتماعى والسلوكى بين مجموعات الزنوج ، وتستمد تمويلها من الامريكيين بيض اللون بجانب ما تجمعه من الامريكيين سود اللون .

ثانيا : أسهم الزنوج فى أعمال القتال فى جميع مسارح الحرب كما اشتغلوا فى جميع الخدمات المتعلقة بمهمة الحرب خارج الولايات . وهذا الاسهام قد أنتج آثارا ضخمة فى تفكير هؤلاء الجنود والعاملين فى خدمات الحرب. فقد أحسوا بالدنيا خارج أمريكا عن كثب وعن تعامل وشاهدوا كيف يعامل الناس باحترام فى أماكن كثيرة ، كما ان المرتبات فى فترة الحرب كانت كبيرة الامر

الذى أتاح لهم فرصا عديدة فى الحيـاة الاجتماعية فى أوروبا وآسيا وأفريقيا

وتنعكس آثار هذا الدور فى أمور كثيرة منها ان الضغوط داخـل البناء العسـكرى الامريكى ضـد استخدام الزنوج وتجنيدهم فى عمليات الحرب وخدماتها قد انهارت رويدا حتى تم تجنيد الزنوج ، وبعد معاناة وشكاوى واضطرابات أمكن شغلهم لوظائف الضباط فى الفرق المتعددة بحيث يرأسـون البيض . ومنها ان التفرقة بين الجنود والضباط فى مسائل السكن والمطعم والخدمات طبقا لألوانهم قد تهاوت رويدا رويدا حتى اضطر الرئيس ترومان فى اثناء حرب كوريا ان يصدر قرارا بالغاء هذه التفرقة فى القوات المسلحة بوصفه القائد الأعلى للجيوش الامريكية . ومنها ان عددا كبيرا من هؤلاء المجندين قد سرحوا بعد الحرب وعادوا الى امريكا فوجـدوا ان المجتمع لم يتغير من حيث الفكر الاجتماعى والنظرة الاجتماعية للزنوج ، وانه ترتيبا على هذا عليهم ان يهبطوا للحياة فى القاع حيث الازدراء والضياع واليأس والبطالة ، ولما كانوا قد عاشوا حياة الفخر والاعتزاز فى خارج امريكا فقد ثاروا على هـذا

الوضع وامتلأت حياتهم بالاضطراب النفسي والاجتماعي ومنها ان عددا كبيرا من هؤلاء المجندين سمع فى أوروبا وآسيا عن الأفكار الاشتراكيــة وعن الدعوة الشيوعية وعن حروب المقــاومة ضــد النازية والفاشية الايطالية واليابانية وان هــذه الأفكار تركت فيهم آثارا فكرية سوف نلحظها فيما بعد

وقد ترتب على هذا ان عاد هؤلاء المجندون وليس فى نفوسهم أو عقولهم أى ولاء للنظــام القــديم أو للطرق والأساليب المقررة فى حياتهم للوصول الى المساواة بالغاء التفرقة العنصرية • ومن بين أفراد هــذا الجيل وما جاء بعده من أجيال سوف تبرز القيادات الجديدة الراديكالية النظرة ، وسوف تبرز أيضا القيادات الجديدة اليسارية النظرة • ولكن فى نفس الوقت ستظل هذه القيادات تشكو من الميراث الفكري الفردى الذى عاناه المجتمع من قبل والذى تدعمه كل أفكار الفلسفة الفردية الرأسمالية • والذى نتج عن هذا هو ضعف منظماتهم وتعددها مع كثرة السخط والشكوى والقلق من القديم والبحث عن الجديد

ثالثا : فى هذه الفترة التاريخيــة التى تلت الحــرب

العالمية الثانية ظهرت أزمة خطيرة فى القضية الزنجية ، وهذه الأزمة تتعلق بدور ومفهوم القيـادات البيضاء الليبرالية التى يسجل التـاريخ مشـاركتها فى العمل السياسى الزنجى طوال النصف الأول من القرن العشرين، والتى احتلت بلا منـازع مراكز التوجيـه والتخطيط والتمويل .وهذه الأزمة هى تعبير عن أن السخط والقلق والشكوى والتبرم الذى ملأ حياة جماهير الزنوج قـد نضج وبدا واضحا أمام المجتمع

ومن ثم فقد تبلورت الأزمة فى ان النجرو يريد ان يعامل كانسان كامل قادر له حق التصرف ، بينما يدل التاريخ السابق على ان الليبراليين البيض قد صنعوا له كل شىء من أجله ولم يتركوا له أى فرصة أومناسبة لكى يعمل لنفسه شيئا . ان النجرو كما يقول الدكتور ديبويس يريد الآن ان يقف وان يمارس بملء حريتـه ومطلق ارادته حق ممارسة رجولته . وقد علق على هذا الاحساس والتفكير جنرميردال فى دراسته المنشورة عام ١٩٤٤ فقال : ان الاغلبية البيضاء تحدد مركز النجرو ومكانه . وليس هناك أى تفسير علمى يشرح لماذا يقف النجرو هكذا ؟ ولماذا يعيش هذه الحياة فى داخل هذا

الأطار ؟ اللهم الأ تفسيرا واحدا هو ان الرجل الأبيض أراد هـذا ولا راد لارادته وقضـائه . ولقد ثبت من التاريخ انه فى كل معركة وفى كل خطوة كان رأى الرجل الابيض قاطعا حاسما ، ولهذا فالحقيقة هى ان حيـاة النجرو وآراءهم عن مشـكلتهم هى رد فعـل ثانوى لضغوط الاغلبية البيضاء ..

ان موقف الليبرالى الأبيض اليوم موقف حـرج ، فالزنوج يعتقدون اعتقادا جازما ان وجوده فى منظماتهم هو سبب سيرهم البطىء نحو تحقيق أهدافهم ، ولهذا يرى لومـاكس أن دور الليبرالى الأبيض له جـذور اقتصادية فهو الذى امتلك القدرة على التمويل المالى للمنظمات الزنجية منذ بداية ظهورها وان وجودهم كما يتصورون يمنع تحول ثورة الزنوج الى ثورة عنصرية ويقولون انهم يتكلمون لصالح السود وليس لمصلحة البيض . وفى تيار الهجوم العنيف الذى توجهه جماهير الزنوج الى قياداتها القديمة يتطاير أيضا الهجوم على القيادات البيضاء فى داخل المنظمات الزنجية ولهذا يقول سلبرمان ان ثورة الزنوج هذه هى رد فعل مكبوت طوال زمن طويل سابق . وان رد الفعل هذا موجه ضد

وضع عدم التوازن فى هيكل القوة الاجتماعى : وهذا الوضع هو الذى ارتضاه البيض ودعموه واستكان له النجرو وقبلوه . واليوم يأتى التناقض فى ان النجرو الامريكى يريد أن يعرض قضيته بنفسه وأن يتكلم فيها بلســانه وعقله ، ولكنه يجد حتى اليوم من يقومون بالحديث نيابة عنه ، ويتخذون من القرارات بارادتهم الخاصة وكأنما هذا الزنجى لا وجود له مع انه صاحب القضية ، ويثور الزنوج لهذا ويقولون : لقد تدخلوا فى حياتنا حتى موعد وشكل تحررنا لقد حددوه وصنعوه كما أرادوه هم . لقد جعلونا لا نمتلك الاحساس بذواتنا ولا نمتلك حياتنا ولا نمارس دورا فى بناء مستقبلنا

ويعلق الكاتب الذى نستند اليه فى أنه من المستحيل على جماعة تعيش فى وضع اجتماعى عاجــز أن تنضج وتمارس فعاليات وجودها الاجتماعى بدون أن تعالج بما يشبه الصدمة الكهربائية ، وهذا يجعلها تحس بصورتها الحقيقية فى المجتمع والتى لا يراها هــذا المجتمع على حقيقتها . ولهذا يطالب النجرو أن تعترف بهم السلطة البيضاء فى المجتمع فتفاوضهم وتحادثهم وتشعر بحركتهم اما سخطا واما رضاء . أى ان تعتقد ان الزنوج شركاء

على قدم المساواة وليسوا قاصرين لم يبلغوا سن الرشد بعد ..

لذلك يتردد باستمرار هذا الهجوم على الليبراليين البيض مع الهجوم على القيادات الزنجية القديمة لدرجة انقول ان تركيب السلطة الابيض قد امتص فى داخله زعامات النجرو وطاقاتهم . وقد تزايد الهجوم بعد أن تحولت حركة الزنوج الى عمل سياسى واحتجاجى فى الشوارع والرأى العام فقد انتقد الليبراليون البيض وحلفاؤهم من البوزجوازية السوداء دور هؤلاء الزعماء السود غير المسئولين ولم يؤيدوهم فى عملهم السياسى فى الشوارع . ويرى لوماكس أن سبب هذا هو أن الليبراليين البيض انما يعيشون فى داخل اطار حياة الطبقة المتوسطة البيضاء وينتظمون فى تيار قيمها ومثلها ولهذا فهم يريدون بقاء الوضع القائم فى المجتمع الامريكى ويعملون على المحافظة عليه واقرار السلام الاجتماعى فى اطار الحياة الأمريكية الراهنة . وعلى نقيض هذا لاتشعر جماهير الزنوج بأى احترام لهذه الاقوال أو الاوضاع لأنهم يعيشون خارج اطار هذه الحياة البورجوازية وقيمها . ولذلك فالقادة الزنوج الجدد حينما يقول لهم

الليراليون البيض والبورجوازيون السود : كونوا مسئولين . يتساءلون باستمرار «مسئولون» أمام من ؟ ولحساب من؟ ــ وخلاصة القول انالزنوج يريدون أن يأخذوا فى أيديهم المبادءة فى العمل السياسى ، وأن يعملوا لأنفسهم ، ويريدون من الليراليين البيض ان يتخلوا جانبا ويتركوا الزنوج يتكلمون بأنفسهم عن أنفسهم

رابعا : أدت هذه المعركة السابقة تجاه دور الليراليين البيض .. الى توتر فى العلاقات والنظرة تجاه الاقليات الأخرى وبالذات الأقلية اليهودية فى المجتمع الامريكى . وقدظهرت دراسات خاصة بالعلاقاتالاجتماعية الداخلية فى مجموعات الأقليات والطوائف فى المجتمع . ولعل أحداث هارلم فى صيف عام ١٩٦٤ هى السبب المباشر الذى جعل العلاقة بين اليهود والزنوج محل دراسات متعددة . وأعتقد أنه من الواجب أن تتعرض لهذا الموضوع استطرادا لبحث النقطة السابقة خاصة وقد أشرنا من قبل الى دور اليهود فى الجمعية القومية لتقدم الملونين وغيرها من صور نشاط الحركة الزنجية فى الولايات المتحدة ..

انأحداث هارلم وبدفورد وهىأحياء زنجية فىمدينة

نيويورك فى صيف عام ١٩٦٤ ، وكذلك أحداث فيلاديلفيا أصابت كثيرا من المحلات والمؤسسات التجارية والاقتصادية اليهودية بأضرار . ومن هنا ارتفعت صيحة تقول : ان ثورة الزنوج تعادى السامية واليهود، وحاول البعض الصاق هذه التهمة بواسطة تخيل علاقات بين بعض قادة الزنوج وبعض قادة البلاد العربية ، وبعضهم حاول لمس الفكر النازى فى أفكار بعض قادة الزنوج ، وبعضهم ألقى التهمة على عاتق المسلمين السود .. الخ. ومن ناحية أخرى حاول البعض ايجاد تفسير اقتصادى لهذه الأحداث بواسطة القول ان حى هارلم وحده يسكنه حوالى نصف مليون اسود ومع ذلك فالزنوج لايمثلون سوى ١٣ ٪ من مجموع ملاك المحلات والمؤسسات التجارية والاقتصادية ومحلات التوزيع والخدمات والأسواق فى هذا الحى

واذا كنا نسلم بوجود آثار لهذا العامل الاقتصادى ، فان الدراسة تثبت أن هناك عوامل متعددة لهذا التوتر ، وان التوتر بين اليهود والزنوج ليس طارئا وليس نتيجة حركة الحقوق المدنية فقط . بل هناك ظاهرة تاريخية ليس لها حتى الآن تفسير كامل نهائى وهى أن

اليهود حينما استقروا فى نيويورك أقاموا فى وسط المدينة وقاموا بنشاطهم التجارى فى قلبها ، ولأسباب تاريخية أخرى حينما وصل الزنوج الى الشمال قادمين بكثرة من الجنوب اتجهوا الى وسط مدينة نيويورك وأقاموا بجوار مناطق اقامة اليهود ، ومن ثم نشأت بينهم علاقات تمثلت فى التجارة والاستخدام والتعامل فى بنك السلفيات والتوظف واستئجار المساكن .. الخ ، ولهذا فالشكوى من جانب الزنوج ليست طارئة ، ومن ناحية أخرى فان الليبراليين والاشتراكيين والشيوعيين من اليهود قد أسهموا بصورة أو بأخرى فى حركة الحقوق المدنية مثل غيرهم من البيض من أبناء الطوائف الأخرى ، وهذا الاسهام فى صورة عمل سياسى أو تثقيفى أو تمويل مالى ..

وعلى غير مايتخيل هؤلاء الليبراليون البيض جميعا ، فان نمو حركة الزنوج وتحولها الى العمل السياسى قد صاحبته ظاهرتان الأولى هى ظهور القيادات الزنجية التى بدأت تستقطب الجماهير السوداء ومن ثم ينكمش دور القيادات الليبرالية البيضاء واليسارية أيضا ، والثانية هي نمو الشك وعدم الثقة فى دور أى قيادة ليبرالية

بيضاء من جانب الزنوج ، الأمر الذى أوجد منطقة من عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين ، مع نمو هذه المنطقة من عدم الثقة باستمرار . وترتيبا على هذا فان الشكوى من الوضع الجديد الذى تتطور اليه حركة الزنوج هى شكوى عامة من جانب الليبراليين البيض ومن بينهم الليبراليون اليهود

ولكن لماذا أصبح اليهود أكثر حساسية من غيرهم بالنسبة لهذا الوضع الطبيعى فى نمو حركة الزنوج ؟

الرأى الصحيح يعود الى عدة عوامل منها نمو الطبقة المتوسطة والمهنية وذوى الياقات البيضاء من الموظفين بين الزنوج . وهؤلاء حينما دخلوا سوق العمل فى نيويورك بالذات وجدوا أن عددا كبيرا من اليهود يقفون أمامهم مباشرة فى السلم الاجتماعى . ويقرر الأستاذ ناثان جلازر الأستاذ بجامعة كاليفورنيا فى دراسة نشرتها له مجلة كومنترى وهى لسان المجلس اليهودى الأمريكى — انه منذ الثلاثينات دخل اليهود بكثرة ساحقة ميدان التعليم والوظيفة والعمل المهنى ، وان أحداث التاريخ وضعت اليهودى أمام الزنجى فى العمل أو فوقه مباشرة فى السلم الوظيفى ، ففى المدارس يجد المدرس الزنجى أن الناظر

يهودى ؛ وفى العمل الاجتماعى يجد الأخصائى الاجتماعى الأسود أن المشرف عليه يهودى ، وهناك تقرير مشهور باسم هاريو عن أحوال العمل وعلاقات الجماعات والأقليات فى نيويورك يقول أنه من بين ٨٠٠ ناظر مدرسة يوجد ناظر واحد من الزنوج ، وفى الادارة العليا فى السلم الوظيفى يوجد أربعة من الزنوج من بين ١٢٠٠ موظف كبير ، وفى الوقت نفسه نجد أن الأغلبية الساحقة من هذه الأرقام هى من بين اليهود

وبجانب هذا العامل المثير للتوتر ، نجد أن الأقلية اليهودية كغيرها من الأقليات الأمريكية قد وصلت من الناحية الاقتصادية ومستوى الدخل ما يؤهلها الى الانتقال من وسط المدينة الى الضواحى . وقد تم هذا منذ فترة الحرب العالمية الثانية ، وتأخر انتقال الطبقة المتوسطة الزنجية الى الضواحى حتى أواخر الأعوام الخمسينيات وأوائل الأعوام الستينيات . فلما بدأت البورجوازية السوداء فى الانتقال قوبلت بمعارضة شديدة من سكان الضواحى ومن بينهم اليهود ،والسبب هو أن انتقال الزنوج للسكنى فى منطقة يجعل البيض يهجرونها ومن ثم تنخفض أسعار وأثمان الأرض

والعقارات . وأيضا تتم عملية الانتقال الزنجية فى فترة نمت فيها حركة الحقوق المدنية أى أن انتقالهم معناه المطالبة بالاندماج الاجتماعى فى المدارس والمستشفيات والنوادى والزواج المختلط ... الخ

اذن فالذى حدث فى العلاقات بين الليبراليين والاقليات البيضاء من جانب وبين الزنوج من جانب آخر هو أن الموقف ترتب على حقيقتين : الاولى هى ان صورة المجتمع الامريكى الحقيقية هى انه ليس مجتمعا واحدا مفتوح العلاقات الداخلية على مختلف الاتجاهات بل انه مجتمع اقليات وطوائف وجماعات تندمج الى حد ما وتبقى بعد ذلك كل فى اطارها الدينى أو العنصرى أو القومى السابق . وهذا واضح من المقاومة الاولى التى ابدتها الاقلية الانجلوسكسونية البيضاء البروتستانتية الديانة امام ضغط اليهود والكاثوليك وغيرهم فى سبيل الاندماج الاجتماعى . فقد نبذتهم أولا ثم قبلتهم ثانيا على أساس أن تبقى بين كل منهم خطوط فاصلة . وكان هذا هو ما تبغيه هذه الاقليات الجديدة فى ذلك الوقت فهم يطلبون الاندماج والمساواة والاعتراف بهم على اساس ان تبقى لهم شخصياتهم الطائفية المتمثلة فى

الكنيسة الخاصة والمدرســة الخاصة والنادى الخاص والتجمع السكنى الخاص الى حد ما والصحف والمجلات الخاصة ، ولما كان اليهود آخر الأقليات التى اندمجت فى المجتمع الامريكى فقد وجدهم الزنوج اول الطوائف أمامهم وآخرهم فى السلم الاجتماعى

والحقيقة الثانية هى أن حركة الزنوج الحالية هى ثورة بالمفهوم العميق للمصطلح ، انهم لايطلبون الاعتراف بهم كأقلية أو جمــاعة لونية ذات وضـــع ومدارس ونوادى وثقافة خاصة فى داخــل المجتمع ، وهــذه هى غلطة الليبراليين البيض فقد ظنوا أو توهموا منذ البداية أن الموقف سوف ينتهى الى هذا الوضع الذى تصوروه ، بينما ان الزنوج الامريكيين للأسباب التى سبق شرحها فى تكوينهم التاريخى قد أصبح لهم وضع خاص وهو عدم وجود ثقافة قومية أو ديانة خاصــة أو مدارس خاصة . انهم يطلبون وضعا جديدا هو دخول جميع الكنائس والنوادى والمدارس والمستشفيات والأحيــاء السكنية والوظائف الحكومية والشركات والاعمــال الخاصة . ان حركتهم لا تعرف خطا فاصلا تريد أن تبقى عليه بينهم كأقلية وبين باقى الاقليات الاخرى فى هــذا

المجتمع . انهم لا يعترفون بامكان حياتهم بجوار عدة مجتمعات وطوائف واقليات موجودة تحترم الخط الفاصل بينهما تقليديا ، انهم يريدون عبور هذا الخط بالنسبة لجميع هذه الاقليات ودخول دائرتها الخاصة لأنه ليست لهم دائرة يريدون المحافظة عليها أو يطلبون الاعتراف بها ..

ومن هنا يبدو التهديد الثورى الزنجى فهو ليس ضد السامية وليس ضد اليهود وليس ضد البيض وليس ضد فرد ما بصفته الفردية بل انه ضد الوضع الاجتماعى التقليدي . ولهذا أصبح من المتداول أن توصف ثورة الزنوج بأنها حركة راديكالية وليست حركة ليبرالية طبقا لمعانى المفاهيم السياسية المتداولة فى امريكا . ان الزنوج يطلبون الغاء خطوط وعلامات الحدود المقبولة عرفا وضمنا بين جماعات وأقليات المجتمع الأمريكى . ولم يسبق لجماعة أو أقلية فى أمريكا أن طلبت هذا ، والسبب هو أن نبذ الزنوج وطردهم التاريخى من المجتمع كان قاسيا متطرفا . وعلى هذا فرد الفعل اليوم هو عدم قبول الأمر الواقع مطلقا ، وان الزنوج يصارعون ضد كل الفواصل والحدود الفاصلة فهم يريدون دخول الكنائس

والمدارس والنوادى واحياء السكن الخاصة ومحلات التجارة .. الخ. ان ثورة الزنوج لاتكتفى بطلب المساواة القانونية فى ميدان الاقتصاد وميدان التعليم .. الخ ، انهم يطلبون المساواة فى نتائج هذه الفرصة المتساوية . ومعنى هذا أن يكون لهم قدم ثابتة ومدخل قوى فى جميع خيرات وثمار الحياة الامريكية بدون اعتبار لأوضاع طائفية أو علامات فاصلة بين الجماعات . ان هذا المطلب لايعترف بالعرف والتقاليد الخاصة بأوضاع الجماعات والأقليات ، لأن هذا قد ترتبت عليه حقوق وامتيازات ومغانم خاصة بكل طائفة وجماعة وأقلية أقامت حياتها عليه منذ زمن سابق . ولهذا فحينما يطالب الزنوج بمطالبهم السياسية فهم ليسوا ضد اليهود كأفراد أو ديانة وليسوا ضد الكاثوليك كأفراد أو ديانة وليسوا ضد البيض عموما كأفراد أو لون، انما هم ضد الأوضاع والامتيازات والتركيب الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى طردهم طردا عنيفا لمدة طويلة . وهم اليوم يريدون الدخول العنيف فى هذا المجتمع بدون مبالاة أو مراعاة لأى وضع أو امتياز يحرمهم من نتائج وثمار المساواة فى الحقوق والواجبات والفرص فى المجتمع الأمريكى

اذا أخذنا منطق غالبية الـكتاب الزنوج وجدناهم يذهبون الى أن مولد وبداية الفترة الثورية الحالية التى يحياها الزنوج الأمريكيون ـ هو يوم أول ديسـمبر ١٩٥٥ . ففى هذا اليوم رفضت مسز روزا باركس من مونتجمرى بولاية ألاباما ان تطيع أمر سائق الاتوبيس فتترك مقعدها ليجلس فيه رجل أبيض . ولما اعتقـل البوليس هذه السيدة بتهمة مخالفة القوانين الأساسية للولاية والخاصة بالتفرقة بين الابيض والاسود ـ حدثت اضطرابات بين الزنوج أدت الى اعلان مقاطعـة عامة لاستعمال الأوتوبيس فى مدينة يشكل الراكبون الزنوج حوالى ٧٥٪ من مجموع الذين يستعملون هذه الخطوط وتطورت المقاطعة الى تنظيم شعبى فى المدينـة وتزعم العملية القساوسة الزنوج ومن بينهم برز قسيس اسمه مارتن لوثر كنـج . وعلى الرغم من القبض على قادة الحركة من القسس ورجال الكنائس الا أنها استمرت حتى خضعت الشركة لمطـالب الزنوج وألغت قواعـد التمييز بين الركاب فى خطوط الاتوبيس الداخليـة فى

المدينة وذلك بعد أن استصدر المحامون المدافعون عن المتهمين والتابعين للجمعية القومية لتقدم الملونين أحكاما من المحاكم الفيديرالية بعدم شرعية هــذه القــواعد وتناقضها مع الدستور الأمريكى

وخرج مارتن لوثر كنج من هذه الأزمة زعيما فدعا الى تأليف مؤتمر قيادات الجنوبيين المسيحيين المشهور باسم «Sclc» واتخــذ مقره فى مدينــة اتلانتــا بولاية جورجيا حيث انتقل ليمارس واجباته الكنسية . وظهور هذه المنطقة الزنجية جدير بالدراسة والانتباه ، فهى أول منظمة فى فترة الخمسين سنة الأخيرة تقوم فى الجنــوب وتحظى بعضوية وتأثير على نطاق قومى فى الولايات المتحدة بعد يوكر واشنطن . ومع ان عصب نشاطها الأساسى فى الجنوب (الريف والمدن) الا أن هذه المنظمة لها نشاط خارج الجنوب . وثانيا هــذه أول منظمــة يتزعمها رجال الدين الزنوج زعامة كاملة وتعمل بطريقة منظمة مقبولة فى الحقل السياسى . ومن الأمور الجديرة بالذكر أن رجال الكنائس الزنجيــة مارسوا نشــاطا سياسيا مستمرا فى حياة الزنوج الأمريــكيين وأنهــم انضموا الى نشاط جميع المنظمات السياسية الزنجية قبل

ذلك . الا أنه من الملاحظ أنهم لأول مرة يتكتلون وينظمون تنظيما جماهيريا سياسيا ويقودونه ويصبحون مسئولين عنه ويدينون فيه بالولاء لزعيم من بينهم . وخلاصة القول أنه لأول مرة منذ ظهور المنظمات الزنجية القومية فى أمريكا نجد الجنوبيين من الزنوج يمتلكون المبادءة السياسية ويشكلون تنظيما سياسيا يتزعمونه ويقودونه بدون أن يكون للزنوج الشماليين فيه الدور الاساسي. وفى هذا القول نحن نتذكر ماتشكل قبل هذا من منظمات قومية زنجية فى مدن الشمال

والحركة السياسية التى قام بها الجنوبيون من الزنوج أثارت دراسات ومناقشات عدة فى امريكا ، لأنه كما لاحظنا أن العمل السياسي وأهدافه الليبرالية والراديكالية كان باستمرار يبدأ من خارج الجنوب فى مدن الشمال والوسط والغرب ، وقد أفرد لوماكس مؤلف كتاب « ثورة النجرو » فصلا كاملا لمناقشة دور مارتن لوثر كينج وآثار تربيته الدينية على مفاهيمه السياسية وعلى نشاطه العام . وخلاصة القول أنه انتقد مارتن لوثر كنج على أساس انه يفتقد الصفات اللازمة للقائد الاداري الناجح الذى يقود تنظيما جماهيريا وانه ليس مثقفا

فهو يعيش فى اطار فكرى جامد ، كمـا أنه يدعو الى مبادىء عدم العنف أخذا بميراث غاندى الهندى وثورو الامريكى . ويزيد لوماكس على هذا النقد بأن مارتن لوثر كنج لم يتخلص من ميراث التعاون مع الليبراليين البيض فقد أصـــبحوا هم الممولون لنشاطه ماليا والمستشارون لنشاطه فكريا ، كما أن لوماكس يرى أن ادخال الكنيسة رسميا فى تنظيم وقيادة النشاط المدنى للحركة السياسية فيه خطورة وفيه تنـاقض . ويرى لوماكس انه بمرور الزمن بعد عام ١٩٥٥ بدأت الحركة تعمل فى الجنوب بصفة أساسية بينما لايزيد تأييدها فى مدن الشمال والوسط والغرب عن مجرد دور هامشى

وقد تناول سلبرمان دراسة ظاهرة زعامة مارتن لوثر كنج ومؤتمر القيادات الجنوبية المسيحية فقال ان مارتن لوثر كنج هو زعيم وقائد الطبقة البورجوازية السوداء أو الفئات الاجتماعية التى تتطلع تطلعا فكريا وماديا الى الدخول فى فئات الطبقات المتوسطة . وان اقساما هامة ذات وزن من جماهير الزنوج والطبقات الدنيا السوداء تعارضه ولا تقبل منطقه القائم على فلسفة عدم العنف

وان الجهود والتأييد والدعم الذى يلقاه مارتن لوثر

كنج من الأوساط البيضاء التى توصف فى أمريكا بأنها مسئولة وعاقلة ــ هذه الجهود والدعم تثير شكوكا حول الهدف من ابرازه وتنمية صورته وتثبيتها فى الحياة العامة بواسطة أجهزة الاعلام والاتصال المتعددة فى أمريكا

ولقد أثيرت هذه الشكوك حينما قررت لجنة منح جائزة نوبل أن تمنحه هذه الجائزة لعام ١٩٦٤ . ولقد ناقش كثيرون حتى من بين المثقفين الزنوج أنفسهم ــ أسباب منحه الجائزة والدوافع التى حدت الى اتخاذ هذا الاجراء لأول مرة فى تاريخ منح الجائزة . وأذكر ان مجلة ليريشن ومجلة نيوبوليتكس قد تحدثتا عن هذا الموضوع . وذهب كتاب فى هذا المجال الى القول بأن دوافع سياسيةخاصة بالمجتمع الامريكىتقف وراء فوزه بالجائزة . وانالدوافع السياسية تتلخص فى ان مارتن لوثر كينج يؤمن بالنظام الأساسى الأمريكى القائم ويدعو الزنوج الى عدم الثورة عليه أو محاولة تحطيمه ، كما انه ضد العنف أو أى أسلوب ثورى وبهذا ينطق باسم البورجوازية السوداء والبيضاء معا . وفوق هذا هناك محاولة لسد الطريق على نشاط جماعة أمة الاسلام أو المسلمين السود ــ باستخدام مارتن لوثر

كينج وتاريخه كقسيس فى الكنائس الزنجية ومعه رجال الدين الآخرون ..

نقول ان هذا الحدث البسيط الذى تم فى مونتجمرى ألباما قد هز الرأى العام الزنجى وتلته أحداث عديدة فى ولايات أخرى .. كما ان عددا من القضايا رفعت فى المحاكم ضد اجراءات التفرقة العنصرية فى المدارس والمستشفيات ووسائل المواصلات ومناطق الاسكان .. الخ. وقد قامت الجمعية القومية لتقدم الملونين بتمويل العدد الأكبر من هذه القضايا، أو قدمت خبرات رجالها القانونيين فى هذه المجالات وقامت بدور جماعات الضغط فى اوساط الرأى العام والاعلام الامريكى . وقد تمت أحداث هامة وخطيرة فى النصف الثانى من الاعوام الخمسينات فى عهد رئاسة ايزنهاور للولايات المتحدة ، وكلها أثارت الرأى العام الزنجى مثل ما حدث فى مدينة ليتل روك بولاية اركنساس عام ١٩٥٧

وما أن تولى الرئيس الراحل كيندى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ حتى بدأت حركة الحقوق المدنيـة للزنوج تجد دفعاً قويا للعمل ، ففى عام ١٩٦٠ بدأت فى مدينـة جرينزبورو بولاية نورث كارولينـا حمـلة

« الجلوس احتجاجا فى الأماكن العامة » والمعروفة باسم «Sit-ins» .. وأسرعت جميــع المنظمات الزنجيــة الى ارسال دعاتها والمسئولين فيها الى المدينة لمساعدة الطلاب الذين بدأوا الحركة . وتدخل البوليس باسم منطق القانون السائد فى الولاية . وتمت اعتقــالات كثيرة . وعلى الرغم من هذا انتشرت الحركة وتناقلت وسائل الاعلام أخبارها وانتشرت موجة الجلوس احتجاجا وأسرعت المنظمات الزنجية الى المحاكم تطلب استصدار احكام بالافراج عن المسجونين والمعتقلين واحكام تدمغ الاوضاع القائمة بمنافاة الدستور الامريكى . وفى غمار هذه الأحداث تألفت أحدث المنظمات الزنجية عمرا ، أعنى لجنة تنسيق العمل الطلابى السلمى والمعروفة باسم «SNCC» .. وتنطق فى أمريكا بـ « سنيك » . ويتزعم هذه اللجنة شباب من الزنوج يأتى فى مقدمتهم جيمس فورمان وجون لويس . وقد انتشرت فروعها بسرعة فى الجامعات والمعاهد الدراسية وفى مناطق تجمعات الشباب ومع أن الحركة نشأت فى مدينة جنوبية الا أن عــددا هاما من زعماتها جاء من مدن وجامعات الشمال والوسط وعلى الرغم مما تتميز به الحركة من راديكالية تنتج عن

عنف الشباب ومتوسط اعمار قياداتها وأعضائها ، الا أنها أيضا تقوم على مساندة وتبرعات أقسام هامة من البيض الأمريكيين . والملاحظ أن مؤيديها من الأمريكيين البيض هم الطلاب والشباب والمنظمــات الراديكاليــة الأمريكية . ودور هذه المنظمة ونشاطها فى الجامعات هو الذى أدى الى أزمة عام ١٩٦٣ فى جامعة كاليفورنيا بركلى. اذ فصلت الجامعة زعماء الطلاب الذين يعملون ضــد التفرقة العنصرية والذين يجمعون تبرعات مالية لتمويل المكافحين من أجل القضية ، فلما ثار الطلاب وأعلنــوا الاضراب تدخل بوليس ولاية كاليفورنيا وقبض على أعداد ضخمة وطردت الجامعة ٧٦٩ طالبا منها . وقــد تطورت الأزمة خلال عام ١٩٦٤ فأقام الطلاب منظمــة حرية التعبير والكلام بزعامة الطالب ماريو سافيو « من الأمريكيين البيض » دفاعا عن حقوقهم فى النشــاط الطلابى داخل حرم الجامعة . وخلال العام الدراسى ١٩٦٤ كانت الاضطرابات مستمرة والتوتر قائما ، ودفع هذا رئيس الجامعة الدكتور كلارك كير ومدير الجامعة لشئون الطلاب الى الاستقالة من عملهما فى الجامعة عام ١٩٦٥

وما مر عام من مدة رئاسة الرئيس كيندى حتى أحس

جيمس فارمر الرئيس القومى لمجلس المساواة العنصرية (كور) أنه لابد من عمل ايجابى أكثر راديكالية ليهز المجتمع الأمريكى . فقرر أن يبدأ عملية سماها « مسيرة الحرية » «Freedom Rides» ، والأصل فى الفكرة أن هناك أحكاما قضائية سابقة من المحاكم الفيدرالية تمنع تطبيق قواعد التفرقة العنصرية فى محطات وصول الأوتوبيس التى تخدم خطوط السيارات العامة التى تعمل بين الولايات المتعددة والمعروفة باسم Inter State Travel Terminals وعلى الرغم من صدور هذه الأحكام فان عددا من الولايات لم تنفذها خاصة فى الجنوب . ولذلك فكر جيمس فارمر فى أن يبدأ مسيرة شعبية لتحطيم هذه القيود. وفعلا قام بالاتصالات اللازمة قبل بدء المسيرة وتكونت فرق من المسافرين السود والبيض. وركبوا الاتوبيسات وتحدوا الأوضاع القائمة فى المحطات ، وتدخل الجمهور والبوليس فى الولايات الجنوبية بوحشية ضد هؤلاء الركاب ، الأمر الذى أثار ضجة كبرى وتدخل روبرت كنيدى المدعى العام فى عهد الرئيس كينيدى . وأسرعت المنظمات الزنجية الى دخول ساحات المحاكم وبدء ضغوط على

الرأى العام ووسائل الأعلام لكسب جولة ضد التفرقة العنصرية فى أمريكا . وقد استفادت منظمة « كور » من هذه الحركة فقد أكسبتها اسما شعبيا وتزايد عـدد أعضائها وبرز اسم رئيسها كمنظم لحركات شعبية على أساس فلسفة عدم العنف .

كل هذه المقدمات والخطوات سبقت الزحف الكبير الى واشنطون عام ١٩٦٣ . وهى التى دفعت المنظمات الزنجية الى الحركة خوفا من ان يفوتها القطار ويهجرها اعضاؤها . نتيجة لتزايد السخط والقلق العام بين جماهير الزنوج من الاوضاع المحافظة والتفكير المحافظ الراكد الذى يجثم على قلب هذه المنظمات القديمة . ولا بد من كلمة تقدير للدور الذى قام به الرئيس الراحل كيندى وشقيقه روبرت كيندى فى مد يد العون لهذه الخطوات المناهضة للتفرقة العنصرية . وهذا يبدو فى الكتاب الذى ألفه صحفى أمريكى يدعى هارى جولدن باسم « المستر كيندى والنجرو » ويسجل الاجراءات التى تمت فى عهد رئاسة الرئيس الراحل جون كيندى والاتصالات التى أجراها المؤلف مع زعامات المنظمات الزنجية وما أبدوه من آراء وما قاموا به من دور وما حققته منظماتهم

من خطوات ..

الزحف الكبير :

هناك عديد من المطبوعات تصف ما حدث يوم ٢٨ أغسطس عام ١٩٦٣ . ولنختار منها الكتاب المصور الذي أصدرته مؤسسة جونسون للنشر بشيكاغو وهي مؤسسة زنجية مشهورة في الولايات المتحدة . واسم الكتاب « يوم الزحف » . ويقول ان الزحف كان بداية لميلاد شيء جديد وانه كان النهاية لشيء قديم . فقد جاء اليوم بمناسبة مرور مائة عام و ٢٤٠ يوما على توقيع اعلان التحرر من الرق . وان اليوم المحدد كان بمثابة الدوامة العاصفة في بحر هادئ وقد شاهدها وأحس بها ملايين الناس في أمريكا ، وأنها كانت علامة ذات معنى . ولقد جاء الناس في هذا اليوم في جميع أنحاء أمريكا واتجهوا الى واشنطون وساروا حوالي ميل ليقفوا أمام تمثال لينكولن ليقولوا له ان الزنوج الأمريكيين انتظروا مائة عام و ٢٤٠ يوما ليحصلوا على حريتهم ولكنهم لم يحصلوا عليها ..

وأصل الفكرة هي من بنات أفكار فيليب راندولف

البالغ من العمر حاليا ٧٦ عاما ، والذى يرأس حاليا رابطة عمال عربات النوم ويشغل حاليا منصب نائب رئيس اتحاد النقابات الأمريكى ، وهو الرجل الذى هدد الرئيس روزفلت عام ١٩٤١ بالزحف على واشنطن ان لم يصدر الرئيس قرارا بالغاء قواعد التفرقة العنصرية فى صناعات الحرب وان تحل محلها قواعد المنافسة المتكافئة ، ولقد اقترح أن يتم الزحف الشعبى عام ١٩٦٣ ووافقت المنظمات الزنجية الخمس على مقترحاته ، وهذه المنظمات هى الجمعية القومية لتقدم الملونين «NAACP» ، ومؤتمر قيادات الجنوبيين المسيحيين «SCLC» والرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية «N.U.L.» ومجلس المساواة العنصرية «Core»

ولجنة تنسيق العمل الطلابى السلمى «SMICK»

وأيدتهم منظمات كاثوليكية ويهودية وقيادات عملية . وتم تنظيم العمل باختيار راندولف مديرا للزحف وبايارد راستين نائبا له وهو رئيس تحرير مجلة ليبريشن الراديكالية الزنجية ..

وفى أثناء مهمة التنظيم والاعداد للزحف توالت الاتهامات ضد حركة الزحف من العنصرين ، وهذا جعل

منظمو الزحف يتخذون اجراءات أمن داخلية لمنع الاضطرابات والشغب ، كما امتنعوا عن الاتصال بالمنظمات الشيوعية ، وأعلنوا أن هدفهم هو لفت نظر الكونجرس لاصدار قانون الحقوق المدنية . وفعلا بدأ توافد الناس من جميع أنحاء امريكا بواسطة جميع وسائل النقل المتعددة ، وكان المشتركون من جميع فئات وعناصر وطبقات الشعب الامريكى . وتوالى وصول المشتركين فى الزحف الى واشنطون حتى وصل عددهم مابين ٩٠ ألفا و١٠٠ ألف من الافراد ، وساروا عبر الشوارع الى تمثال لينكولن وتكلم الزعماء هناك ثم انصرف الجميع فى هدوء

والذين تكلموا هم فيليب راندولف عن العمال الزنوج ، وروى ويلكنز السكرتير العام للجمعية القومية لتقدم الملونين ، ووايتنى يونج المدير التنفيذى للرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية ، وجيمس فارمر الرئيس القومى لمجلس المساواة العنصرية ، وجون لويس رئيس لجنة تنسيق العمل الطلابى السلمى ، ومارتن لوثر كنج رئيس مؤتمر القيادات المسيحية الجنوبية ، وبجانبهم تكلم مؤيدا والتر رويتر نائب

رئيس اتحاد نقابات العمــال الامريكى وماتيواهمان المدير التنفيذى للمؤتمر الكاثوليكى من أجل العدالة بين الأجناس وأوجين كارسون بلاك نائب رئيس لجنة الدين والأجنــاس التابعة لمجلس الكنائس القومى ، وجواشيم برنز رئيس المجلس اليهودى الامريكى

وقد رفع المشتركون فى الزحف شعارا هو :

« الزحف الى واشنطن من أجل الوظائف والحرية يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٣ »

وقد أصــدر الرئيس كنيــدى بيانا عقب استقباله بالبيت الأبيض للزعماء الذين قادوا الزحف الــكبير ، قال فيه ان أمريكا شاهدت فى هذا اليوم عشرات الألوف من الامريكيين الزنوج والبيض يعبرون عن حقهم فى التجمع الحر ولفت الأنظار الى قضيتهم ، وان مطلبهم المساواة والعدل فى المعاملة والفرصة بصرف النظــر عن اللون والجنس والدين والقومية .. هو مطلب عادل مفهوم للجميع • وان الوعى العام بهذا المطلب يلمسه الجميع بشكل ظــاهر ، وعلى الرغم من أن صيف عام ١٩٦٣ شاهد تقدما فى ترجمة مبادىء الحقوق المدنيــة الى واقع تطبيقى ، الا أن أمامنا طريقــا طويلا لابد أن

نجتازه ، وان الادارة التنفيــذية الفيديرالية ســوف تواصل جهودها لانهاء التفــرقة فى اجراءات التوظف والعمــل بجانب جهودها لتقــديم تشريع للكونجرس يحوى قانونا للحقوق المدنية ، ويحوى أيضا مقترحات لتنمية الاستفادة من القــوى البشرية وتدريبها وبدء مشروع لدراسة برامج العمل وتوسيع فرص التعليم

وأمام تمثال لينكولن أقسم المشتركون على التزامهم التام بالكفاح من أجل تيسير الوظائف والعمل والحريات لجميع الأمريكيين بدون تفرقة ، وان لا يهدأ الكفاح حتى يتم اقرار مطــالبهم . وان يتم هــذا الكفاح فى اطار التقليد الديموقراطى وبواسطة وسائل عدم العنف وخلال الاجهزة القضــائية والتشريعية للبلاد . كمــا أعلنوا ان أهدافهم هى :

١ ـ قانون للحقوق المدنية يحتوى على ضمانات للمساواة فى الاستفادة من الخدمات العامة والاندماج فى المدارس وحماية حق التصويت فى الانتخابات العامة ، وتحسين أحوال الاسكان ، وحق المدعى العام فى أن يحمى حقوق المواطنين الدستورية من أى انتهاك

٢ ـ ايقاف التمويل الفيديرالى لاى برنامج يتمسك بالتفرقة العنصرية

٣ ـ الغاء التفرقة العنصرية من جميع المدارس ابتــداء من عــام ١٩٦٣

٤ ـ تخفيض عدد المقاعد المخصصة فى الكونجرس لاى ولاية تمنــع المواطنين من المشاركة فى التصويت والاقتراع العام

٥ ـ اصدار قرارات فيديرالية ضد التفرقة فى برامج الاسكان ..

٦ ـ برامج فيديرالية واسعة للتدريب المهنى بالنسبة للعــاطلين من العمل

٧ ــ رفع الحد الادنى للاجور بواقع دولارين للساعة الواحدة بدلا من دولار وربع للساعة الواحدة

٨ ــ اصدار تشريع بامتداد قواعد المعاملة العادلة المتكافئة ليشمل جميع قطاعات العمل فى البلاد

٩ ــ قرار فيدرالى يمنع أى نوع من التفرقة فى جميع المستويات الوظيفية

قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٤ :

وقدمت حكومة الرئيس كنيدى مشروع القانون الى الكونجرس لاقراره، وعلى الرغم من اغتيال الرئيس كنيدى فقد أعلن الرئيس جونسون انه يلتزم بالعمل على اصدار القانون . وتم اصدار القانون قبل الانتخابات العامة لمنصب رئيس الولايات المتحدة التى تمت فى نوفمبر ١٩٦٤

والقانون يعالج مشكلات عديدة فى حياة النجرو ، وفى مقدمتها حق التصويت وعدم المساواة فى المعاملة بين الاسود والابيض حين التقدم للقيد فى دفاتر الناخبين بواسطة الانتخابات . وأيضا يعالج مشكلات التفرقة فى الخدمات العامة والتفرقة فى المدارس ويقضى بتأليف لجنة فيدرالية للحقوق المدنية ويقر مبدأ الفرص المتساوية فى العمل ... الخ

وقد قابل الزنوج الامريكيون صدور القانون بابتهاج شديد ، وشاركوا فى الانتخابات عام ١٩٦٤ . ولكن بمضى الوقت تبين أن القانون مازال عاجزا عن حل جميع المشكلات الماسة التى تهدد حياتهم ، كما أن عددا كبيرا من الولايات الجنوبية قد أساء تطبيق النصوص . الامر الذى أوجد من جديد الاضطرابات بين الزنوج . اخرها ماحدث فى كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس عام ١٩٦٥ . وقد دعا هذا الرئيس جونسون للتقدم الى الكونجرس طالبا استصدار تشريع يقضى بانشاء دفاتر جديدة لقيد أسماء الناخبين فى الانتخابات الفيدرالية على أساس المساواة وعدم وضع قيود وعراقيل أمام الناخبين . وكان هذا محاولة لايجاد حل جزئى للمشكلة التى يعانيها الناخبون الزنوج فى الولايات الجنوبية حيث يشكلون فى مناطق عديدة أغلبية تستطيع أن تتحكم فى نتائج الانتخابات

الفصل السادس :

القومية السوداء..

جماعة أمة الإسلام

دراسة ظاهرة القومية السوداء وما يرتبط بها من ظهور منظمات زنجية مثل جماعة أمة الاسلام - تنتشر فى جميع الكتب والمؤلفات الخاصة بقضية الزنوج الامريكيين . وقد لاحظت ان العديد منها يفرد باستمرار فصلا لهذه الظاهرة أو أكثر ، هذا بخلاف الكتب الخاصة التى تتناول هذا الموضوع ، وبجوار ما استندنا اليه من مؤلفات فى الفصول السابقة نستعين بثلاثة مؤلفات خاصة بهذا الموضوع كتبها مؤلفون من بين المثقفين الزنوج ، وهى كتاب « المسلمون السود فى امريكا » تأليف اريك لينكولن ، وكتاب « القومية السوداء » تأليف ايسيين اودوم ، وكتاب « عندما اعطيت الكلمة » تأليف لويس لوماكس . ونلاحظ ان الكتابين الاول والثانى هما فى الاصل دراسات جامعية اعدت لنيل درجة الدكتوراه فى جامعتى شيكاغو وبوستون ..

وسبب هذه الدراسات ليس اهتماما اكاديميا بما ظهر فى حياة النجرو من منظمات وحركات فحسب ، بل ان

جماعة أمة الاسلام تزاول نشاطها الذى ينمو بشكل ملفت للنظر ولانها تتخذ موقفا من الحـــركات الزنجية التى أشرنا اليها فيما قبل ، وكما لاحظنا انها لم تشترك فى حركة الحقوق المدنية ولا ساهم اعضاؤها فى الجلوس احتجاجا فى الاماكن العامة ولا فى الزحف الــكبير على واشنطن ، ويقول اريك لينكولن انهـــا اكبر الجماعات السوداء نموا فعدد اعضائها يبلغ حوالى ١٠٠ الف عضو . ويمتد نشاطها الى حوالى ثلاثين ولاية امريكية وقد قال هذا الكلام فى الطبعة الاولى من كتابه عام ١٩٦١ وأكده بعد ذلك فى الطبعة الخامسة « التى نستند اليها فى الاشارة » عام ١٩٦٤ . ولا يختلف عنه المؤلفان الاخران الا فيما يتعلق بعدد الاعضاء اذ يراه ايسبين أودوم قريبا من ٢٥ الف عضو . ومرجع الاختلاف ان كل ما يتعلق بالجماعة يعتبر سرا من أسرارها لا تنشره ولا تبوح به ..

الانبياء السود :

تبدأ هذه الدراسات ببحث أسباب ظهور هذه الظاهرة بين الزنوج الامريكيين ، واجمال البحث هو ان كل ما سبق تقريره عن تاريخ النجرو وصورته ودوره وسد جميع المنافذ امامه ، أدى الى احساس باللون فى حياتهم وهذا الاحساس انقلب الى وعى بدور وكيان جماعة سوداء فى وسط أبيض معاد . وهذا الوعى بالذات الجماعية يتمثل فى رفض الوضع والتعبير بالاحتجاج الدائم على فرضـــه بالقوة البيضاء ، وهذا الاحتجاج الدائم نما كأى شىء فى الوجود من همس الى مظاهرات الى هروب الى عنف .. الخ . من الصور النفسية والواقعية المعـــروفة فى علم النفس الجماعى . وقد قامت فكرة القومية السوداء على

رفض النمط الابيض لشخصية النجرو ودوره في الحياة. ولهذا يعتبرها الدارسون أكثر من ثورة وأكثر من شجاعة لانها تريد اعادة تقييم الحياة وحقائقها ومراجعة التاريخ واعادة كتابته ، ورفض التعاون في الوضع الادني اقتصاديا ونفسيا مع التطلع الى امتلاك السلطة او السيطرة على ادارتها . وكثيرون يرون فى قول ماركوس جارفي عام ١٩٢٠ رمزا وتعبيرا عن هذا التفسير . لقد قال : « منذ اليوم يجب ألا يتوقع الرجل الابيض ان دماء النجرو ستسيل ، انما الذى سيسيل هو دم الابيض لان هذا هو طريق تحرر النجرو » . ويضيف اريك لينكولن بأن عبقرية النجرو مدفونة فى أعماق الازمة التى يحياها ..

ويرى ايسبين أودوم أن القومية السوداء هى البحث عن تحقيق الذات واثبات الشخصية فى امريكا ، وانها نتيجة اجتماعية نفسية لما درسه ببراعة وشمول جنر ميردال فى تقريره عن « المعضلة الامريكية » ، وان دراسته قد دلته على اشتعال نيران الصراع النفسى فى داخل الكيان الذاتى للنجرو ، وان المؤسسات والمنظمات الزنجية فى ضعف مستمر ، مع نمو التناقض فى القيم والمثل والنظم التى يطلب من الزنجى احترامها والاخذ بها . ولذلك فهو يرى أزمة ويأس النجرو من الوضع الراهن . والزنجى الذى يعنيه فى دراسته هو الجماهير السوداء الضائعة التى لا جذور لها فى التركيب الاجتماعى الامريكى . وان هذه الجماهير يظهر فى حياتها ثلاثة عوامل تدل على الاحساس بالانفصال والوعى بالذات اللونية العنصرية السائد فى أعماق هذه الجماهير ، وهذه العوامل هى الافتراق عن البورجوازية السوداء وقد بدأت الجماهير السوداء تحدد موقفها من البورجوازية السوداء تماما كما فعلت من قبل مع البورجوازية البيضاء ، وهى اعادة تحديد

وتقويم الموقف تجـــــاه المؤسسات والمنظمات الزنجية والقيادات القديمة ، وهى تجديد وتنمية احساس قــوى بافريقيا المعاصرة في الميدان الدولى ودورها العالمى ..

ويقول اريك لينكولن ان كل حركات ودعوات القومية السوداء لها جذور ثلاثة هى : تزايد ونمو الاســـــتهانة والتحقير من قدر الرجل الابيض وثقافته وقيمه ومثلــه السائدة والمفروضة عليه ، وهى رفض وانكار النمط المقرر لشخصية النجرو وكيانه الاجتمـــــاعى ، وهى التلهف والتشوق نحو تملك شعارات ومثل الثقافة الاســيوية الافريقية ومحاولة اثبات وجودها فى الميراث التــاريخى والفكرى للزنوج الامريكيين • ويضيف الى هذا ان محاولة جماهير النجرو الهروب من هذه الانماط والنمـــــاذج المفروضة مع تمسك البورجوازية السوداء بها ودأبهـــا المستمر على التطلع الى البورجوازية البيضاء والالتصاق بها ، أدى هذا الى نمو الانشقاق فى داخل كتلة الزنوج الامريكيين وجعل مظاهر التركيب الطبقى والتقســـيم الطبقى تدخل فى معركة الزنوج • ولقد لاحظ فى دراسته كما سنشير فيما بعد ان الغالبية العظمى من انصار هذه الدعوات والمنظمات يعيشون فى المدن بعد أن هاجروا من الريف والبيئة الزراعية والمدن الصغرى فى الجنــوب • وانهم فى المدن يمثلون الطبقات المحرومة والفئات الضائعة فى شوارع وحوارى هذه المدن الضخمة • كمـــــا لاحظ المؤلف ان متوسطات الاعمار بين هؤلاء الانصـــار ليست كبيرة كغالبيتهم ما زالوا فى العشرينيات والثلاثينيات ، وانهم ذكور من بين الزنوج الامريكيين أصلا ومولدا ..

ويضيف بعض الدارسين الى ان الظـــاهرة الواضحة فى حياة هذه المجموعة البشرية السوداء هى ان الطبقات المتوسطة والعليا تهرب من الارتبـــاط بجماهير الزنوج

فى امريكا وان الارتباطات بين الطبقات العليا والمتوسطة الممتازة وبين الطبقات الدنيا الضائعة من الزنوج ـ قد ذبلت اليوم ، ولذلك فلم يصبحوا زعماء الطائفة او المتحدثين باسم الجماعة ، وهذا ما دفع الجماهير الى البحث عن قيادات أخرى من بينهم فلم يجدوا حتى الآن سوى دعاة القومية السوداء . وقد أثار أيسبين أودوم مناقشة هل تنطبق ظاهرة وفكرة القومية على هذه الجماعة البشرية السوداء فى امريكا ، ووصل الى ان المناقشة الاكاديمية وحدها لن تصل بالبحث الى حل .. اذ أن الواقع التاريخى والواقع المعاصر يفرضان أنفسهما على أى بحث . وأدى هذا به الى القول بأن كلمة « نجرو » انما هى ترتيب وتوصيف اجتماعى فى معناه الواسع للشخص اسود اللون فى امريكا ، وليست وصفا عنصريا أو شيئا يتعلق بالسلالة والاصل فى امريكا ..

ويجمل اريك لينكولون المناقشة فى أن الدين والوضع السياسى والوضع الاقتصادى وفكرة الدولة أو القومية المنفصلة كلها عوامل وأسلحة تدخل فى النقاش والمعركة . وان هذه العوامل والاسلحة قد تستخدم كلها أو يستخدم بعضها ، وهذا واضح من مراجعة سريعة للجماعات الداعية الى القومية السوداء ومن أمثلتها جماعة أمة الاسلام والحركة الافريقية القومية المتحدة وجماعة رأس تفاريانز فى الكاريبى ، وحركة نوبل درو على وحركة ماركوس جارفى .. الخ . فكلها حاولت تغيير الواقع بطرق ووسائل غير الطرق والوسائل التى تدعو بها الجماعات والقيادات الزنجية الاخرى . لقد حاولوا تغيير الواقع بتغيير الاسم وتغيير الدين وتغيير النماذج الثقافية وتغيير الموطن بالعودة الى افريقيا وتغيير الموطن باقتراح انشاء ولاية أمريكية سوداء .. الخ . وسواء تحققت هذه الدعوات والتغييرات

أم لم تتحقق فهى اتجاهات وحقائق موجودة وليست ظواهر منعزلة ..

نوبل دروعلى :

فى عام ١٩١٣ أنشأ المعبد الاسلامى فى نيوجرسى ، وبذلك بدأ حركة انتشرت فى مدن الشمال والوسط وامتدت الى مدن الجنوب ، ووصل عدد أتباعه الى رقم يتراوح ما بين ٢٠ ألفا و ٣٠ ألفا فى أثناء حياته وزعامته للمنظمة . وتقول الدراسات الخاصة بنشاطه انه تحول من المسيحية الى الاسلام ، وان الاسلام الذى عرضه على اتباعه ومؤيديه كان خليطا من القيم والمثل الاسيوية التى تأخذ من عيسى وموسى ومحمد وبوذا وكونفوشيوس . ولهذا فقد سمى اتباعه بالاسيويين أحيانا وبالمسلمين السود والمسلمين أحيانا أخرى . ونلاحظ انه استعمل الكلمة الاجنبية « المورز » ولم يستعمل كلمة «مسلم» . وقامت حركته على أساس عدم العنف والتمسك بالمثاليات الاخلاقية والسلوكية . ورفض رفضا مطلقا قبول عضوية ذوى الاصل الابيض الاوربى « الجنس القوقازى » . واستعمل كلمة « الاسيوية » للدلالة على جميع الملونين والزنوج . وانتهت حياته بقتله فى احوال غامضة لم يكتشف احد سرها حتى اليوم . وبعد وفاته انقسم اتباعه فما زال بعضهم يتمسكون بدعوته ، وانضم البعض الاخر الى جماعة امة الاسلام . وكان هذا «النبى» كما أطلق على نفسه يرى ان الزنوج الامريكيين امتدادا لاسيا وافريقيا وانهم لابد ان يكونوا امة ولا بد لهذه الامة من أرض تعيش عليها فى كيان مستقل وذات واضحة ..

ماركوس جارفى

فى فترة مقتل نوبل دورملى عام ١٩٢٠ ، ارتفع نجم

ماركس جارفى ، وكان الزنوج على استعداد لتقبل دعوته .
فقد انتهت الحرب العالمية الاولى وتعقدت حياتهم فى فترة الحرب وفى الفترة التى تلتها . لقد هاجروا للمدينة بحثا من العمل فلما وجده بعضهم نتيجة لمتطلبات التوسع فى احتياجات اقتصاديات الحرب ، فوجىء العـــاملون بتسريحهم بانتهاء هذه الحرب طبقا للمبدأ السائد فى دوائر الاعمال بأن النجرو آخر من يستخدم وأول من يفصل .
وهام الجميع فى شوارع المدن الكبرى ، ولما عاد المجندون الزنوج من مسارح الحرب فى فرنسا قوبلوا بكل احتقـار واساءة . ولم يذكر لهم أحد انهم حاربوا وماتوا دفاعـا عن مدنية الرجل الابيض فى اوربا . ففى العـام الذى تلى انتهاء الحرب قام البيض بشنق ٧٠ زنجيـا علنا فى الميادين العامة ، وكان بعضـــهم ما زال يلبس الملابس العسكرية ، وبجانبهم حرق ١٤ زنجيا وهم أحياء فى شوارع وميادين مدن الجنوب . وشهدت الولايات المتحدة صيف عام ١٩١٩ الذى تسميه كتب التاريخ الصيف الاحمر .
فقد ثار فى امريكا ٢٥ اضطرابا عنصريا . واستمر اضطراب واشنطون ثلاثة أيام وكانت فيـــه حرائق ومذابح . أما اضطرابات شيكاغو فقد استمرت ١٣ يوما وانتهت بقتل ٣٨ وجرح ٥٣٧ شخصا بجانب التخريب والحـــرائق والتدمير الفظيع الذى عانته المدنية . وقد نشطت جمعية كوكلوكس كلان فى الجنوب والوسط والشرق والشـمال بشكل واضح ..

وظهر جارفى فى هذه الفترة ليـنـــادى الزنوج قائلا : « انهضوا أيها الجنس المختار » ، واحتوى البيان الاساسى لانشاء جمعيته الزنجية العالمية على ان مهمة الجمعية هى تنمية الاحساس بالفخر باللون الاسود . وتقوية الدعـوة لحق تقرير المصير للدول الافريقية المســتقلة ، والدعوة

لانشاء معاهد وكليات لتعليم الشباب الزنجى ، وأعلن البيان ان شعار الجمعية هو « رب واحد وهدف واحد ومصير واحد » ..

ولقد بنى ماركس جارفى دوره ودعوته على أساس ان زعماء الزنوج والمنظمات الزنجية العاملة فى ذلك الوقت ليس لهم جميعا برامج عمل ، وانهم انتهازيون يعيشون على استغلال الجماهير الرابضة فى قاع المجتمع وقد استنتج جارفى من هذا ان السبب هو ان الزعماء ملونون وليسوا زنوجا أنقياء الدم ولذا وضع برنامجه على أساس عدم الثقة فى هؤلاء الخلاسيين . وقد أصدر جارفى مجلة تنطق باسمه بلغات ثلاث هى : الاسبانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، وقال ان انصاره قد وصلوا الى مليون ..

وقد سبقت الاشارة الى بعض مظاهر دعوة جارفى وكيف تصور أفريقيا وما توقعه من مستقبل للجنس الزنجى عامة ، وزاد على هذا بأن أنشأ كنيسة جديدة لاتباعه وربط بينها وبين الكنيسة الاورثوذكسية السورية . وبهذا دخلت الاورثوذكية فى حياة المسيحية الامريكية ، وغالى جارفى فرسم صور المسيح والعذراء بلون اسود وكذلك صور الملائكة وجميع شعارات الكنيسة . وكما قلنا قد فشلت جميع أحلامه وتكاثر أعداؤه وخاصة من بين الزنوج الامريكيين ، وقد تم اغتيال أحد المنشقين على جارفى وهو جيمس ايسون وكان من كبار معاونيه . وللآن لم يكتشف أحد اسرار الجريمة . وسوف نتذكر ايضا جريمة اغتيال مالكولم اكس عام ١٩٦٥ . ولعل هذا أحد المظاهر الواجب دراستها فى حركة الزنوج الامريكيين وفى المجتمع الامريكى بصفة عامة ..

وحينما تقرر العفو عن جارفى عام ١٩٢٧ بشرط مغادرته امريكا ، لم تمت دعوته نهائيا حتى بعد موته عام ١٩٤٠ فى

لندن . ولكن الضعف أصابها ، وما زال له اتباع وانصار خاصة فى ديترويت وشيكاغو وان كانوا قد انقسموا على بعضهم بعضا ، وما زالت الكنائس الارثوذكسية التى أنشأها تعمل فى أمريكا ..

والشىء الذى لفت نظرى وأرجو أن أدرسه فى المستقبل هو أن جارفى تقابل مع رجل مصرى فى لندن عام ١٩١٢ وتأثر به ، وكان هذا الرجل يدعى طبقا للمراجع الانجليزية ديوس محمد على وكان يصدر مجلة أفريكان تايمز وأورنيت ريفيو ..

فرض محمد على

مات نوبل درو على وظهر جـارفى ، وطـــرد جارفى من امريكا وتحطمت منظمته الزنجية فظهر فى الثلاثينيات النبى « فرض محمد على » . وكان المسرح الامريكى يشهد آثار الازمة الاقتصادية الضخمة التى هزته وهزت معه العالم . لقد ظهر هذا الرجل فى ديترويت عام ١٩٣٠ ، والاقوال متضاربة عن أصله هل هو عربى أم آسيوى ؟.. هل جاء من جامايكا أم من الحجاز .. لا أحد يستطيع البت فى هذا الموضوع وكان الرجل بائعا متجولا يمر على المنازل ويقابل ربات البيوت ليبيع لهم الاقمشة والادوات التى يحملها . وبواسطة هذا الاتصال اليومى بدأ يحدث الزنوج عن الاسلام والنبى محمد وان المسيحية ليست دين الزنوج بل لهم دين آخر فى آسيا وافريقيا . ونما عدد المؤيدين لدعوته فأنشأ معبدا واستطاع أن يضم الى انصاره عددا من بقايا اتبـاع نوبل دروعلى . وانضم اليه أحد الزنوج المســـيحيين المهاجرين من الجنوب واسمه ايليابول . وأصبح اســمه ايليا محمد الذى رأس الجماعة بعد اختفاء فرض محمـد على الغامض عام ١٩٣٤ والذى لم يكتشف سره أحد حتى اليوم ..

يرى سليرمان فى دراسته عن أزمة الاسود والابيض ان « المسلمون السود » مهمون جدا فى ميزان القوى الموجودة فى داخل كتلة الزنوج الامريكيين وانه لابد من ملاحظة تزايد عددهم . وان الجماعة تعد أنصارها بالثأر من الرجل الابيض . ويشير الكاتب الى نداءايليا محمد الى الرجل الزنجى اينما كان قائلا : « انهض ونظف نفسك وقف فى صلابة » ، كما يشير الى مالكولم اكس وكان فى ذلك الوقت الساعد الايمن لزعيم الجماعة الذى قال : «ان أكبرجريمة ارتكبها الرجل الابيض هى أنه علمنا أن نكره أنفسنا» . وكان هذا فى معرض حديثه عن ان الحل لازمة النجرو وقضيتهم انما يأتى من داخل كيان الفرد الزنجى ومن داخل كيان المجموعة البشرية السوداء . ويتفق معهم جيمس بالدوين فى مؤلفه « النار .. فى المرة القادمة » بأن اعظم ما فعله ايليا محمد ولم يستطع أحد من القيادات الزنجية ان يفعله قبله ، هو انه عالج المنحرفين وشفاهم من ازمتهم النفسية والضياع الذى تدهوروا اليه ، وانه أخرجهم من سجنهم واطلقهم ليتطهروا ويمتنعوا عن ارتكاب الجريمة واحتراف القوادة ، كما خلص النساء الزنجيات من آثار جريمة الرجل الأبيض . ويضيف لوماكس فى كتابه « ثورة الزنوج » ان ايليا محمد ومالكولم اكس هما أحسن من يعرف حقيقة ونفسية النجرو فى امريكا حتى الآن بين جميع الزعامات والقيادات الزنجية ..

وفى هذه الدراسة التى تقدمها عن أمة الاسلام لانتعرض لمضمون تعاليمها الدينية الفقهية الاسلامية ، ولا عن توافق هذه التعاليم أو عدم توافقها مع تعاليم الدين الاسلامى الذى يعرفه المسلمون من أهل السنة وكما أخذها المسلمون جميعا عن نبى الاسلام . ففى هذه النقطة

دراسات عدة تبرز تناقضاً واختلافاً ، وهناك جمعيات ومؤسسات اسلامية فى الولايات المتحدة وكندا تقول بهذا وقد شرحوه فى كتب ودراسات مقارنة . وسبب موقفي هذا هو ان الدراسة الحالية ليست دراسة دينية فقهية لانتشار الدين الاسلامى أو لتعاليم ودعوة الفرق والطوائف الاسلامية . انما هي دراسة سياسية فى الاصل وفى الهدف عن قضية الامريكيين السود وعن تطورها السياسي ومشكلاتها المعاصرة فى داخل اطار الحياة الامريكية الداخلية وانعكاسات هذا الموقف الخارجى وتأثره به ..

وأيضا لن أتناول بالتفصيل الاتهامات الخيالية والقصص التى تنتشر فى بعض ما يكتب أو يذاع عن هذه الجماعة فى أمريكا . وهذا فيما يتعلق باتهامها بأنها من صناعة البلاد العربية الاسلامية عامة ومن صناعة الرئيس جمال عبد الناصر خاصة . وأحيانا يقال عنها انها جماعة يمولها الشيوعيون وأعداء أمريكا عامة . والذى يروج لمثل هذه الاتهامات هم جماعة يهودية أو دعاة صهيونيون فى داخل بعض المنظمات الزنجية الاخرى أو فى خارجها . وفى ترويجهم لمثل هذه الاتهامات الخيالية يتلمسون الدليل فى تلغراف تسلمه رئيس الجماعة من الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٥٨ ، أو فى زيارة لمالكولم اكس الى الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٩ ، ثم فى زيارة ايليا محمد للبلاد العربية فى طريقه الى الحجاز والاراضى المقدسة . ومن جانب آخر تبدى مجلاتهم وصحفهم رأيها فى أحداث الوطن العربى وافريقيا وتأخذ جانب التأييد للقضايا العربية والافريقية وهذا يتخذه مروجو الاتهامات دليلا على وجود العلاقات التى يتقولون بها . وفى احدى المرات اصدر الشيوعيون الصينيون نداء الى جميع الشعوب والجماعات

الملونة فى العالم الى تأييد حركة الكفاح ضد التفرقة العنصرية فى امريكا وكان هذا فى عام ١٩٦٣ وحيا المسلمون السود هذه المبادرة فى جرائدهم • فكان ان هاجت الدنيـــــا وهاجمهم زعماء المنظمات الزنجية وفى مقـــــدمتهم روى ويلكنز الذى اتهمهم بالعمالة للشيوعية الدولية ••

والعلامة الاولى فى دراسة حركة المسلمين السود هى انهم ورثوا بصـــدق اهتمـــامات نوبل دروعلى وماركوس جارفى بالجماهير السوداء فى امريكا • الجماهير المنسية الضائعة فى شوارع المدن الكبرى ، الجماهير التى انفصلت عنها البورجوازية السوداء فى جريها وسعيها الحثيث وراء الاندماج فى البورجوازية البيضاء ، ومع ذلك ما زالت تقابل بالصد والاحتقار من جانب البيض • الجماهير التى لا ترى الدنيا الا فى صورة الابيض والاسود ، ويمتلك الابيض كل شىء من الاقتصاد والمستقبل والســـــلطة السياسية ولا يمتلك الاسود شيئا وليست عنده ادنى بادرة من الامل فى امتلاك شىء فى المستقبـــل القـــريب أو البعيـــد . الجمــــاهير التى تردت فى هوة ســـحيقة من الانحلال ومن الجريمة ومن اليأس ، فلا تجدها الا فى السجون والمصحات وجيوش البطالة ودور الدعارة وأماكن بيع وتعاطى الخمور وفى الغيتو الاسود فى قلب المدينـــة حارة الزنوج » ••

لذلك وترتيبا على هذا عاش دعاة الجمـــاعة والداعين للانضمام اليها فى أوساط الجماهير طوال حياتها منـــذ البداية أيام فرض محمد على حتى اليوم . وبذلك ارتفعت عضويتها من ثمانية الاف أيام هذا النبى الاول الى ١٠٠ الف او ٢٥٠ الفا أيام زعامة وقيادة الرسول ايليا محمد • وأحست الجماعة بعقلية الجماهير والتوترات التى يعيشون فيها فاتخذت من المظاهر والشعارات والتنظيمات ما يجذب

أنظار الجماهير ويستأثر بولائهم مثل المعابد والمجلات والجرائد والتنظيمات شبه العسكرية والمدارس • ويقول الدارسون لنشاط هذه الجماعة انها تأخذ الزنجى فتجعله يغير اسمه ويغير دينه ويغير لغته ، وتمنحه اطارا اخلاقيا سلوكيا يجعله متميزا عن غيره فى حياته اليومية ، وبذلك يشعر بكيانه وذاتيته وحياته وتصبح له قيم ومثل وأهداف جديدة ليست لها صلة بالماضى الذى جنى عليه . ولذلك فنشاط دعاتها واضح بين المسجونين ورواد المصحات والبارات وفى الاماكن العامة وإركان الشوارع • وفى الوقت نفسه نجد ان برنامجها لا يلقى قبولا من الطبقات البورجوازية العليا السوداء وفئات المثقفين بنفس الشكل الواسع الذى يلقاه من الجماهير السوداء • ويفسر المسلمون هذا الموقف بأن كراهية الطبقات السوداءالممتازة وفئات المثقفين لهم مرجعها الى ان هذه الطبقات والفئات تعرضت لنوع من غسيل المخ الذى قام به المجتمع الابيض بحيث اصبحوا بعيدين كل البعد عن معرفة حقيقتهم الزنجية السوداء ••

ويستكمل المسلمون هذا التركيب الاجتماعى الجديد بسلسلة من المدارس الابتدائية والثانوية وعدد من المراكز التربوية والتعليمية والمهنية تحت شعار تعلموا شيئا لانفسكم وعن أنفسكم . ولهم جامعتان فى شيكاغو وديترويت معروفتان باسم جامعة الاسلام وفى هذه المدارس يعلمون اللغة العربية والتاريخ الافريقى والاسلامى • ولهم عدد من الصحف والمجلات والمطبوعات التى تتكلم كثيراً فى هذه الموضوعات ••

والعلاقة الثانية المميزة للجماعة هى انهم يرفضون أن يطلق عليهم كلمة « نجرو » ويرون ان الخطورة ليست فى حروف الكلمة أو تركيبها فقط انما كل الخطورة فى

تاريخها واثارها النفسية • ولذلك يطلقون على انفسهم كلمة « المسمون نجرو » أو « السود » ويرون ان استعمال هذه الاسماء والكلمات الجديدة انما هى اعلان عن رفضهم للعبودية العقلية والفكرية التى ما زالت الجماعة البشرية سوداء اللون ترزح تحتها فى امريكا • ويشرحون أسباب أسقاط أسماء السادة بمجرد اسلامهم واستبدالها بأسماء جديدة أو بحرف اكس ، ان اسماء السادة هى عنوان جريمة حب الجنس الابيض التى ورثوهـــا عن أبائهم واجدادهم ، وانهم يريدون التحرر منها ومن اثارها ..

ويرتبط بهذه العلامة المميزة الايمان بأنهم قبيلة أو أمة تائهة فى هذا المجتمع الابيض ، جاءوا من افريقيا واسيا ، واخيرا عثروا على انفسهم واكتشفوا حقيقة كيانهم بعد أن جاءهم النبى فرض محمد . وان الرسول الحالى يساعدهم فى الاستعداد وفى الاعداد النفسى لمواجهة مسئوليات يوم المصير الذى لابد من قدومه • ولهذا فعليهم ان يعملوا وان يجدوا بصفة فردية وصفة جماعية ولا يخافون من أحد فى سبيل ان يشفوا الجماعة كلها من مرض وجريمـــة غسيل المخ الذى تعرضت له الجماعة البشرية السوداء • واستطرادات هذا الايمان تذهب الى ان فرض محمد على جاء من الجزيرة العربية باسم والاس فرض عام ١٩٣٠ ثم اصبح عام ١٩٣٣ نبيا باسم والاس فرض محمد • وانه الان يختفى فى مكان لا يعرفه الا الرسول ايليا محمد • وان صورة الكمال الانسانى هى فى شخص الله وان الله رجل أسود لان السواد هو صورة الكمال الانسانى .. الخ ، وأيضا تتفرع الاستطرادات الى ان الرجل الاسود هو الاصل فى خلق الكون الحالى لانه موجود منذ بـــدء الخليقة ، بينما الرجل الابيض موجود منذ ٦٠٠٠ ســنة فقط ، وأن المسمون نجرو فى أمريكا هم سلالات هــذا

الرجل الاسود • وهنا يستخدمون فقـــرات عديدة من التوراة والانجيل والقرآن وكتب التـاريخ لتأكيد هـذه الاقوال • وللتأكيد على ان الرجل الابيض سرق من السود دينهم ولغتهم وتاريخهم وحولهم الى عبيد له ••

والعلامة الثالثة المميزة للجماعة هى المستويات المرتفعة فى الاخلاقيات والسلوك الفردى والجماعى • وهـذا أمر لفت أنظار جميع الدارسين أصدقاء وأعداء ، وهـــذه المستويات تتعلق بأمور دينية مثل الصلاة والنظافة وطرق المعاملة وتناول الطعام والعلاقة بالاخرين والنظـــرة الى أوضاع الحياة ، مع قائمة من المحرمات يجب تطبيقها بكل دقة ، وفوق هذا فهناك مسئوليات واحساس بالتضامن الجماعى • ولهم تنظيمات واوضاع خاصة فى العمـــل والسعى على الرزق وعلاقة المرأة بالرجل ودور المرأة فى حياة الجماعة •• الخ ••

والعلامة الرابعة فى الدراسة هى ان للحركة أهـدافا وغايات يؤمن بها أتباعها ، وعلى أساسها يقيمون علاقاتهم مع الجماعات الزنجية الاخرى ، ويمكن تلخيصها فى الاتى :

١ ـ الدعوة الى جبهة متحدة من كل السود فى أمريكا تقاتل من أجل العدالة والحرية ، وباستمرار يرون أن توحيد السود هو الطـريق والخطوة الى الانتصار • ومن هنا تأتى خلافاتهم مع المنظمات الزنجية الاخرى ويشتد هجوم الجماعة عليهم • ومع الايمان بهذا الهدف يقول الدارسون ان ايليا محمد لا يعلم أنصاره التمرد على السلطة ولايدفعوهم الى التآمر على الحكومة القائمة..

٢ ـ الفصل العنصرى بين البيض والسود ، وان هذا الفصل لايتم فجأة بل يجب ان يأخذ مراحل عدة ويبدأ بالفصل الاقتصادى ثم يتلوه الفصل السياسى ، ويبنى دعاة الجماعة منطقهم هذا على أساس أن دعاة الاندماج غير واقعيين لان الطرف الاخر فى عملية الاندماج « وهـو الابيض » يرفض هذا الاندماج حتى الان • وليست العبرة بالقبـول قولا انما العبرة بالقبول واقعا وتنفيذا ، وانه اذا كان الزعمـــاء الحاليون بين الزنوج ينادون بالاندماج فالواقع أن الجماهير السوداء لا تفهمه ولا تريده ولا ترى امكانية تطبيقه •••

٣ ـ الانفصال الاقتصادى يقوم على أساس وضع ضمانات اقتصادية

وتهيئة أوضاع اقتصادية لتشغيل الزنوج وأسهامهم في الانتاج بدور رئيسي ، ومن الناحية الفردية فتعاليم الجماعة تدعو كل عضو الى أن يصبح ذا مهنة أو ذا عمل وأن يتمسك بالقواعد الدينية التي ترفض الاسراف والاستدانة والجري وراء المظاهر الفارغة . والجماعة لا تمنع أنصارها من العمل لحساب الابيض مادام يدفع الاجر كاملا ولا يتناقض هذا مع تعاليمها الاخلاقية الاساسية . وقد شجعت انصارها على افتتاح محلات للبيع والتجارة ودعتهم الى التعامل مع بعضهم بعضا . وأقامت معارض سنوية لتشجيع الانتاج الزنجي ..

٤ ــ ان هذا الانفصال الاقتصادي والسياسي يتم على أرض الولايات المتحدة ذاتها ، فهم يطلبون قيام أمة في داخل الاطار السياسي الامريكي ، ويطلبون أحيانا أن تكون لهم أرض طيبة في أمريكا . ويتحدثون عن حقهم في هذا بأن الارض الامريكية اصلا أرض مسروقة من الهنود الحمر وهم ملونون وبهذا يكونون اخوة الزنوج . كما أن الزنوج قد اراقوا عرقهم ودماءهم في صناعة هذا الكيان الامريكي ..

وجماعة أمة الاسلام تتحاشى باستمرار أن تتهم بالتمرد والتآمر على كيان الولايات المتحدة ، وهي التهمة التي وجهت الى غيرهم مثل جارفي من قبل ، واستخدمتها السلطة البيضاء في تحطيمهم . ولذلك يقولون أن كل مايربطهم بخارج أمريكا هو أخوة للمسلمين وأخوة للزنوج وليس ولاءسياسيا أو ولاء تنظيميا . وفي هذا يشرحون معنى « العودة الى افريقيا » بأنه في نظرهم شعار ورمز لمعاني التجمع واكتشاف الماضي والتاريخ والكيان الحاضر وانهم يطلقون اسم افريقيا على مفهوم واسع يشمل بلاد العرب والاسلام وافريقيا .. ولا يريدون به شيئا آخر ..

٥ ــ يطلبون أن تكون المبادءة من السود لحل القضية الراهنة وان يتوقف كل اعتماد وكل مساندة من البيض ، وان يتم اشتراك الزنوج في توزيع وتسيير شئون السلطة في الولايات المتحدة على قدم المساواة حتى يمكن الوصول الى حل مقبول وعادل للقضية والازمة الراهنة في داخل المجتمع الامريكي ...

وتتعرض الجماعة بشكل عام لانشقاقات تنظيمية وفكرية ، فقد خرج كثيرون على ايليا محمد في أثناء الفترة الاولى لتركيز سلطته وتوجيه الجماعة . واخر هذه الانشقاقات خروج مالكولم اكس الذي كان مرشحا لخلافة ايليا محمد في الزعامة ، كما أن اغتياله علنا في اجتماع عام قد وجه الاتهام الى جماعة أمة الاسلام وان كان هذا لم يثبت قانونا حتى الان ، واصبحت القضية لغزا مثل حوادث الاغتيال السابقة لبعض الزنوج . وعلى الرغم من

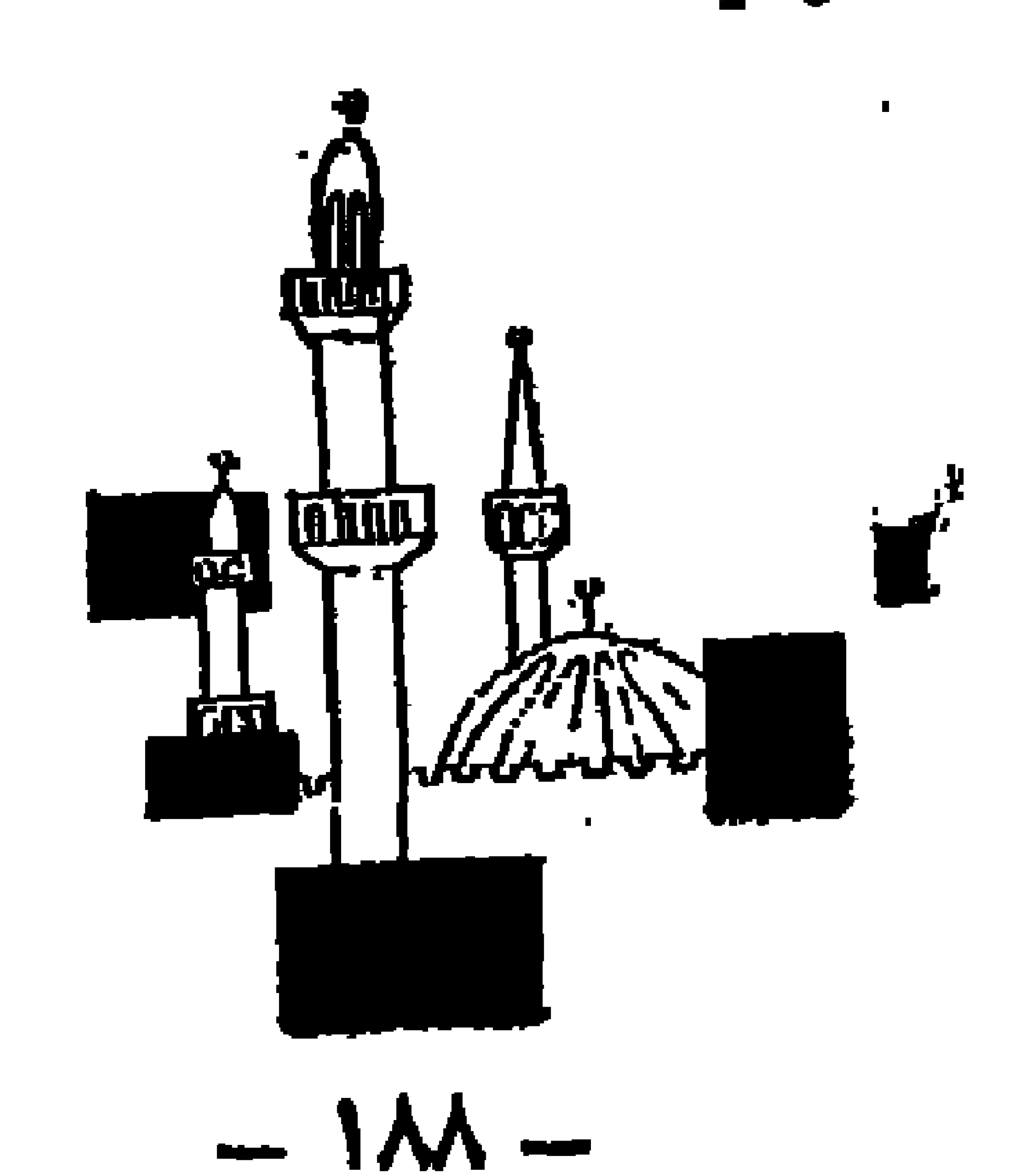
وجود اتصالات ومقابلات سياسية بين أمة الأسلام وزعماء الجماعات الزنجية الاخرى ، الا ان الجماعة تحمل احتقارا وكراهية لهذه الزعامات وتحمل عليهم باستمرار لسبب تعاونهم مع الليبراليين البيض ونتيجة لموقفها الخاص تجاه قضايا العرب وقضايا المسلمين والافريقيين ، كما انها تتهم هؤلاء الزعماء بالبورجوازية من أمثال روى ويلكنز سكرتير عام الجمعية القومية لتقدم الملونين ، ويتركز هجوم الجماعة الشديد على مارتن لوثر كينج الذى يهاجمونه باستمرار وبعنف ، ويرفضون أساليبه فى المقاومة السلبية وعدم العنف . ولقد تحداه مالكولم اكس فى أن يحضر لنيويورك وان يحاول الحصول على تأييد وولاء جماهير زنوج هارلم كما هاجمت الجماعة دور اليهود ووجودهم فى المنظمات الزنجية العاملة فى الولايات المتحدة

وقد بدت فى حياة الجماعة ظواهر جديدة مثل السماح للبيض بحضور اجتماعاتهم ومواكبهم بعد أن كانوا يرفضون رفضا باتا قبولهم فى هذه المناسبات . واخيرا سمح ايليا محمد لانصاره بالاسهام فى الانتخابات وعمليات الاقتراع اذا رغبوا فى ذلك . وقبلا كان موقف الجماعة الرسمى هو الرفض الصريح للمشاركة أو الاسهام فى التسجيل فى دفاتر الانتخابات او الاقتراع أو الاشتراك فى الانتخابات بالولايات المتحدة ..

وخلاصة القول أن أمة الاسلام جماعة سياسية لم تدخل الميدان السياسى بصورة ايجابية حتى اليوم . ولهذا يتخوف كثيرون من الدارسين من نشاطها على أساس ما تبديه اليوم من آراء وما تعلنه من مبادىء وأهداف . وعلى أساس استقطابها لتأييد جماهيرى واسع من بين الفئات والطبقات الدنيا فى المجموعة

البشرية سوداء اللون . وعلى أساس أنها ترفض الاتجاه الاندماجى التذويبى الذى تتبنـاه وتعمل على أساسه الجماعات والمنظمات الزنجية الآخرى ..

ولهذه الجماعة أثر هام فى أنهـا دفعت الى ميدان المعركة دفعا عنيفا واضحا الاتجاهات والاحساس بانفصال البورجوازية السوداء عن جماهير الزنوج . وان هذا أيضا وسع من الهوة التى تنمو بين القيادات والزعامات الزنجية القديمة وبين الجماهير ، وما فى هذا من خطورة انتزاع القواعد من تحت أقدامهـا ومن عضوية منظماتها . وفوق كل هذا فجماعة أمة الاسلام هى التى زرعت بشكل واضح ملموس الاحساس بوجود افريقيا ودورها فى حياة الزنوج الامريكيين وذلك بما تنشره عن الميراث التاريخى وما ينعكس من الارتباط الدينى بالاسلام وما تقوله من أن الاسلام هو دين الافريقيين والزنوج والملونين وأن المسيحية هى دين الرجل الابيض . وهذا القول يبرز فى غلاف الصراع اللونى بين الاسود والابيض ، وفى غلاف الصراع العنصرى ذى الجذور الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية العميقة فى التركيب الاجتماعى وبناء السلطة فى الولايات المتحدة ..



الفصل السابع

انتخابات عام ١٩٦٤

الأقلية الصاعدة في المجتمع الأمريكي

في عام ١٩٦٤ خاضت الولايات المتحدة معركة انتخابية لفتت نظر كل الناس بسبب ضخامتها وتنوع وسائلها وتعدد الموضوعات التي أثارها المرشحون . ونتائج هذه المعركة تنعكس حاليا ومستقبلا على العالم أجمع ، ومرجع هذا أن الولايات المتحدة هي احدى الدولتين الكبيرتين في العالم المعاصر ، وأنها ترسم أستراتيجيتها السياسية والاقتصادية والعسكرية على نطاق عالمي ، ولهذا فان أي حركة من جانب صانعي السياسة فيها ومنفذيها تنعكس بطريق مباشر أو غير مباشر ، بالسلب أو بالايجاب على باقي دول وشعوب العالم

ولم تكن المعركة مقصورة على انتخاب الرئيس الامريكي ونائبه فقط ، انما هي حركة أكبر من هذا ، فقد دارت المعركة الانتخابية لاختيار عدد يصل الى ١٥٨٠ مسئولا على مختلف المستويات التنفيذية والتشريعية في الحكومة الفيدرالية وفي حكومات الولايات . فبجانب رئيس الولايات المتحدة ونائبه يتم انتخاب ٤٣٥ عضوا لمجلس النواب ، ٣٥ عضوا لمجلس الشيوخ ، ٢٥ حاكما للولايات

٣٥٣ موظفا تنفيذيا فى ٢٥ ولاية ، ٦٨٠٠ عضو فى المجالس التشريعية المتعددة فى ٤٤ ولاية من الولايات الخمسين ، ٢٥٠٠ موظف محلى فى المراكز والاقاليم

وقد اشترك فى عمليات الانتخاب عدد يصل الى حوالى ٧٥ مليون ناخب ، فاذا قورن بعدد الناخبين فى معركة عام ١٩٦٠ وجدناه اكبر بسبب الزيادة فى تعداد السكان ونتيجة لقوانين ١٩٦٤ الخاصة بالحقوق المدنية التى اتاحت لعدد من الامريكيين السود والملونين القيد فى جداول الانتخاب ، وكان عدد الناخبين عام ١٩٦٠ هو ٦٨٫٩ مليون ناخب

ولقد اهتم الدارسون بقيمة الاقلية الزنجية فى الانتخابات ، وقد منحهم قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ فرصا للتأثير فى المعركة الانتخابية نتيجة تزايد اعدادهم فى جداول الانتخاب . وعلى هذا فهم يبرزون كاحدى جماعات الضغط أو جماعات المصالح فى داخل المجتمع وخاصة أن نسبتهم المئوية فى تعداد بعض الولايات تصل الى ٥٤ ٪ فى ولاية اريزونا ، وتصل الى ٣٩٪ فى ولاية سوث كارولينا ، و ٣٢٪ فى ولاية الباما ، و ٣٣٪ فى ولاية لويزيانا ، و ٣١٪ فى ولاية جورجيا ... الخ ، ومن ناحية أخرى فانه من الملاحظات الهامة فى المعركة الانتخابية ان الامريكيين السود كانوا يصوتون للحزب الجمهورى منذ الحرب الاهلية ، ولكن مع الازمة الاقتصادية الخانقة عام ١٩٣٠ بدأوا فى التحول للحزب الديموقراطى، وبلغ هذا التحول أوجه فى انتخابات عام ١٩٦٤ . وهذه الملاحظة ترتبط بالاحصاءات الخاصة بالناخبين ومنها انه يوجد فى داخل كتلة الناخبين الامريكيين حوالى ١٢ مليون ناخب غير أبيض منهم ١٠ ملايين زنجى أو حوالى ٨ ٪ من مجموع هؤلاء الناخبين

ومن ناحية أخرى كان موضوع الحقوق المدنية والغاء التفرقة العنصرية القائمة على اللون ، أحد الموضوعات الاساسية فى المعركة الانتخابية بين المرشحين للرئاسة الامريكية . ويذهب القول الى أن أمريكا شهدت أهم معركة سياسية بالنسبة لهذا الموضوع منذ لينكولن والحرب الاهلية . وقد ظهر للجميع أن المرشحين فى أثناء المعركة قد اختلفوا بعمق فى هذا الشأن .

ومن ناحية أخرى فالموضوع يشغل بال جميع الناس سواء أكانوا يرفضون المساواة أو كانوا يؤمنون بها . وقد تبنى مرشحا الحزب الديموقراطى الخط الرسمى للرئيس السابق كيندى وزاد عليه دور الرئيس جونسون فى اقرار القانون وتوقيعه ، ولهذا فقد كرر جونسون القول دائما بأن أغلبية الحزبين فى الكونجرس وافقت على القانون وانه بحكم منصبه يتعهد بتنفيذه ، كما ان له دورا أكبر فى المستقبل ، وان فرصا أكبر تنمو أمام كل أمريكى تحت ظل مبدأ الفرص المتساوية . وعلى النقيض كان جولد ووتر يقر أحيانا مبدأ المساواة وأنه لو فاز بالرئاسة فذلك معناه الالتزام بتنفيذ القانون . ولكن فى الوقت نفسه كان يهاجم السلطة القضائية الفيديرالية ويرى أن خطواتها وأحكامها بشأن تنفيذ القانون يجب أن تتصف بالبطء وأن تقلل من سرعتها وتسرعها ، وكان باستمرار يقول ان ازدياد عدد الجرائم وحالات الخروج على القانون والانحراف انما سببه هو فرض الاندماج الاجبارى بقوة القانون ولهذا كان موقفه هو رفض الموافقة على قانون الحقوق المدنية فى الكونجرس

ولقد اكتشف الحزب الديموقراطى نشرة اعلامية أعدها أنصار جولد ووتر للتوزيع فى الجنوب حيث الاغلبيات السوداء ، فلما علم الحزب الديموقراطى بأمر النشرة

وتحدث عنها سحبها الحزب الجمهورى رسميا من التوزيع ، وتقول النشرة على لسان جولد ووتر انه شخصيا يؤمن ويؤيد حقوق الزنوج . ويرى ان اشتراك التلاميذ البيض والسود فى مدرسة واحدة انما هو مطلب عاقل وعادل ، وقال الحزب الديموقراطى ان هذا نوع من الاستغلال والتلاعب الانتخابى غير الشريف

وفى دراسة عنيفة اللهجة تقول مارجريت هالسى فى مجلة ليبريشن عدد نوفمبر ١٩٦٤ تعليقا على دور الزنوج فى الانتخابات ومطالبتهم بالمساواة والعدالة . ان الزنوج يريدون العدالة والمساواة ، ولهذا يجب أن يتوقف « البيض » عن هذا التساؤل المريب المستمر ماذا يريد الزنوج ؟ ويصبح المنطق الواضح المعروف للبيض والسود جميعا ، كيف يتصرف البيض لكى يحقق السود مطالبهم وحقوقهم ؟ ان مطلب المساواة مرتبط بمطلب العدالة ، وان العدالة فى المساواة هى التى تحفظ الاستقرار الاجتماعى والنظام الاجتماعى . فلقد عرف الرومان هذا منذ أمد بعيد فقالوا : دعوا العدالة تتحقق ولو سقطت السماوات على الارض

وقد لوحظ فى المعركة الانتخابية أن الخط العام لاغلبية الزنوج كان مطلب الاندماج الاجتماعى فورا بكل ما يترتب عليه من آثار ونتائج قانونية واقتصادية وفكرية واجتماعية ، وما يتصل بها من قيم وموازين وأوضاع وعلاقات . وقد ظهرت آثار حركة الزنوج الامريكية فى الانتخابات الأمريكية . فقد حصل الرئيس جونسون على ٩٦ ٪ من أصواتهم فى الانتخابات ، واذا قورنت هذه النسبة المئوية بما حصل عليه الرئيس كيندى فى انتخابات عام ١٩٦٠ وجدناها أكبر اذ انه لم يحصل عام ١٩٦٠ الا على ٥٥ ٪ من أصوات الناخبين الزنوج . وقد

اقترن هذا التحول بالموقف التكتيكى الذى اتخذه زعماء المنظمات الزنجية فى أوائل المعركة الانتخابية اذ تعاهد بعض الزعماء على وقف مؤقت لعملهم السياسى وضغطهم السياسى لزيادة اقرار حقوق الزنوج والتوسع فيها ، وكان السبب فى هذا هو أن دعاة التفرقة العنصرية وأعداء المساواة المدنية استغلوا مطالبة الزنوج بحقوقهم وبدأوا فى اثارة مخاوف البيض خاصة العمال والطبقات المتوسطة البيضاء من أن الزنوج سوف يحلون محلهم فى أعمالهم وأنهم متطرفون يطالبون بأكثر مما يستحقون ، وقد عمد جولد ووتر وأنصاره الى اثارة هذه النغمة ، والهدف من كل هذا هو اثارة رد فعل منعكس بين الناخبين البيض والاقليات المتعددة يؤدى الى منح أصواتهم لجولد ووتر وهذه الظاهرة هى ما تسمى باسم « بلاك لاش » باللغة الانجليزية . وقد نجح هذا الموقف التكتيكى فى التحول العام ضد جولد ووتر ودعاة التفرقة العنصرية ، ونجح الرئيس جونسون فى ولايات لم يسبق للحزب الديموقراطى أن نجح فيها مطلقا ، وكان سبب هذا هو أصوات الزنوج الامريكيين ..

ولقد أثار هذا الاجراء من جانب بعض الزعامات الزنجية مناقشة واسعة ووجهات نظر متعارضة ، واعتقد أن عرض صورة هذه المناقشات توضح لنا كثيرا مما أشرنا اليه من حقيقة العلاقات بين المنظمات الزنجية العاملة فى الولايات المتحدة . ونحن نستند فى هذا الى المناقشة التى أجرتها مجلة نيوبوليتكس عام ١٩٦٤ حول هذا الموضوع

فى يوم ٢٩ يوليو ١٩٦٤ أجتمع قادة الحركات السياسية الزنجية فى نيويورك وهم : روى ويلكنز عن الجمعية القومية لتقدم الملونين ومارتن لوثر كينج عن

مؤتمر قيادات الجنوبيين المسيحيين ، وهوايتنى يونج عن الرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية ، وجيمس فارمر عن مجلس المساواة العنصرية ، وجون لويس عن لجنة تنسيق العمل الطلابى السلمى ، وفيليب راندولف عن رابطة عمال عربات النوم ، وبايرد راستين محرر مجلة ليبريشن ، وكان هدف الاجتماع هو اصدار بيان عن انتخابات عام ١٩٦٤ . وأخيراً صدر البيان الذى يدعو دعاة حركة الحقوق المدنية وقادتها الى ايقاف مؤقت وتأجيل تام لكل المسيرات الشعبية والمظاهرات الجماهيرية حتى بعد يوم ٣ نوفمبر ١٩٦٤ . وباعلان البيان صرح روى ويلكنز بأن كل الحضور وافقوا على البيان ، وان الزعماء وقعوا فيما عدا جيمس فارمر وجون لويس يدعوى ضرورة استشارة منظماتهم والرجوع اليها قبل التوقيع . ولكن فى اليوم التالى أصدر فارمر ولويس بيانا عارضا فيه فكرة التأجيل والايقاف

والبيان يدعو الى ايقاف تكتيكى وان تنصرف الجهود الى تنظيم ومساعدة الزنوج فى التسجيل والقيد بدفاتر الانتخابات لهزيمة جولد وتر الذى لا يؤيد منح الزنوج الحقوق المدنية والمساواة المنشودة . وخوفا من ان يستغل نشاط الزنوج السياسى فى اثارة البيض وتخويفهم وهو ما أشرنا اليه من قبل باسم «بلاك لاش» . وما حدث يوضح اختلافا فى المفاهيم الاساسية للحركة وللموقف بين المنظمات الزنجية . فالمنظمات التى وقعت انما ترى أن الحل للأزمة والقضية انما يأتى بالتمسك بالتحالف مع الليبراليين البيض وهم فى احسن صورهم يتمثلون فى الحزب الديموقراطى ورئيسه ليندون جونسون ونائبه هيوبرت همفرى بينما رأى ممثلا المنظمتين الاخريين ان التحالف يجب أن يتحول الى الراديكاليين وهؤلاء

يظهرون فى خط عريض يضم التقدميين واليساريين والاشتراكيين عموما . كما علقا على موقف راستين وراندولف بأنهما تراجعا عن موقفهما الراديكالى الى قبول التحالف مع القيادات القديمة والبورجوازية السوداء والبيضاء العتيقة التى قادت وسيطرت على الحركة السوداء زمنا طويلا ؟

من هذه الحادثة نستنبط وجود تذبذبات والتواءات عديدة فى تفكير القيادات الزنجية ، وعدم التزامهم او عدم امكانهم التزام خط سياسي واضح معروف . ونستنبط أيضا أن القضية الاساسية التى تواجه جميع هذه القيادات الزنجية هى معرفة من هم حلفاء الحركة الزنجية فى معركتها اليوم بالولايات المتحدة . هل هم العمال ونقاباتهم؟ أم هم البورجوازية البيضاء ؟ أم هم القيادات اليسارية ؟

ان ثلاثة خطوط تظهر فى المناقشة ولم تصل هذه الجماعات الى رأى نهائى قاطع بشأن التزام احدها . ولم تظهر ايضا كتلة أو أغلبية ترى التزام أحد هذه الخطوط الثلاثة . . واولها هو تحالف زنجي عمالى ليبرالى وثانيها تحالف زنجي عمالى راديكالى وثالثها موقف زنجى منفرد بدون تحالف مع اى جماعة أو اتجاه . والملاحظة الاولى هى ان استعمال كلمة ليبرالى وراديكالى يتم فى الجو الامريكى السياسى بمعنى خاص فيه آثار تاريخ أمريكا ومفاهيمها السياسية . والليبراليون من وجهة نظرنا هم دعاة المحافظة على الواقع والامر الراهن ومحاولة حل مشكلة الزنوج فى اطاره بتؤدة وبصبر مع الشعور بالمسئولية والتعقل . والراديكاليون هم دعاة تغيير هذا الواقع الراهن ومحاولة حل مشكلة الزنوج فى نفس الوقت الذى يتم فيه بناء الوضع الجديد . ولكن مع ذلك فمن الصعب تحديد حدود دقيقة للفئات وللجماعات وللطبقات

الاجتماعية التى تدخل فى اطار الليبرالية واطار الراديكالية. وان كان الامر يستلزم باستمرار استعمال تحديدات واسعة ومفاهيم عامة بشأن هذا التعريف

والجماعات السابقة كلها تؤمن بالتحالف مع البيض أو تحالف زنجي أبيض ولكن يختلفون حول مدى هذا التحالف فيما يتعلق ببيض اللون وان كانت الجماعات الثلاث التى اعلنت عن تأجيل الحركة قبل الانتخابات هي أشدها محافظة واستسلاما للوضع الراهن . بينما نحن لانستطيع القول أن الجماعتين الاخريين اللتين رفضتا هما اكثر راديكالية وتقدمية بشكل ملحوظ . ولكن من وجهة النظر الامريكية هما جماعتان بهما اتجاهات راديكالية تقدمية . واذا تذكرنا جماعة أمة الاسلام والجماعات القومية السوداء الاخرى وجدناهم يؤمنون بالخط الخاص بحل القضية على أساس جهد الزنوج منفردين بدون تحالف مع البيض

وفي نفس الوقت فان فشل البورجوازية البيضاء وحليفتها البورجوازية السوداء فى تقديم الحل الامثل فورا للزنوج ، هذا - يدعو الجماعات الزنجية الاخرى الى البروز والتقدم فى الميدان ، ومن بين هؤلاء جماعة أمة الإسلام وحزب الحرية الان • وينطبق هذا على الجماعات اليسارية الزنجية مثل حزب العمال الاشتراكيين وجماعة مجلة منشلي ريفيو والجماعات الشيوعية المختلفة حول التمسك بالاتجاه السوفييتى او التمسك بالاتجاه الصينى. وكل هذه الجماعات تقدم حلولا ثورية او تقترح اوضاعا تنظيمية تراها كفيلة بحل الازمة اوانضاج الموقف الثورى. وفيها - من وجهة نظرنا - مقترحات خيالية بالنسبة للوضع الراهن والتركيب الحالى للمجتمع الامريكى مثل اقتراح بدء حرب عصابات مسلحة فى داخل الولايات

المتحدة تشنها الاقلية الزنجية لتحرير نفسها وتغيير بناء المجتمع الرأسمالى.

وتعلق مجلة دراسات فى اليسار الامريكية عدد صيف ١٩٦٤ على الموقف الزنجى فى الولايات المتحدة بأن الحوادث التى شهدها عام ١٩٦٤ من مظاهرات واعتداءات قام بها البوليس وبطالة وانخفاض فى الاجور .. الخ هى التى اخرجت جماهير الزنوج الى الشارع وجعلت الجميع يحس بهم . وان دخول هذه الجماهير فى العمل السياسى المباشر ليس نتيجة نشاط هذه الجماعات التى تدعى تزعم هذا العمل وتدعو اليه الجماهير . ان ما حدث دليل على أن الحلم الاشتراكى فى العدالة والمساواة والفرص قد انهار وليس هناك امل فى احيائه مرة اخرى . وفى نفس الوقت هذا دليل على انهيار ما يسمى بحركة الحقوق المدنية التى يتكلم عنها هؤلاء الزعماء والتى يرون فيها حلا لأزمة ومعضلة النجرو فى امريكا ..

ان الزنوج فى الشمال يعيشون فى المدينة، ومنهم انبثقت فئات متتالية من البورجوازية السوداء . ومن بين هذه البورجوازية السوداء خرجت القيادات الزنجية التى عاشت تطلب الاندماج الاجتماعى وترسم التكتيك والاستراتيجية للوصول اليه . ولكن عام ١٩٦٤ وما بعده يكشف بوضوح التناقض بين مواقع هذه القيادات ومطالبها وبين مواقع الجماهير ومطالبها والسبب هو ان القيادات قد أصبحت سجينة واقعها الطبقى ومستواها المعيشى وارتباطها بالوضع الراهن فى أمريكا .

والحل اليوم هو أن يرتبط الزنوج بجميع الفقراء فى أمريكا وتصبح لهم زعامة وتنظيم واستراتيجية وتكتيك فى مواجهة المجتمع الامريكى

الازمة المالية فى المنظمات الزنجية

فى نهاية عام ١٩٦٤ اعلنت المنظمات السياسية الزنجية انها تواجه عجزا ماليا عنيفا يهدد كيانها . هذا فيما عدا منظمة واحدة وهى الرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية . ومرجع هذا انهم انهمكوا فى اعمال جماهيرية والتزموا بالتزامات قانونية نتجت عن العمل فى سبيل قانون الحقوق المدنية وحركات الجلوس احتجاجا فى الاماكن العامة ومسيرة الحرية ، وما ترتب على هذا من رفع قضايا فى المحاكم ودفع غرامات وكفالات

وقد اعلنت الرابطة القومية للعمل فى البيئة الحضرية ان ايراداتها زادت عام ١٩٦٤ بمقدار ٢٢٥ ألف دولار عن ايراداتها عام ١٩٦٣ التى بلغت ١ر٦ مليون دولار والرابطة كمنظمة مختلطة العضوية والتمويل « ابيض اسود » تسهم فى اعمال الخدمة الاجتماعية والاسكان والتربية والتدريب المهنى والدفاع عن حق المساواة فى الفرصة . ولا تشترك فى عمليات سياسية فى الشوارع فى المدن . ومن ناحية اخرى فاعضاؤها من الطبقة العليا الثرية السوداء والبيضاء القادرين على امدادها بالتمويل فضلا عن تمويلها لتبرعات من البنوك والمنظمات العمالية والجمعيات الاجتماعية الكبرى

اما الجمعية القومية لتقدم الملونين والمنظمة المشابهة لها فى الاسم والتى تمثل صندوق الرصيد القانونى والتربوى — فقد بلغت قيمة العجز عندها عام ١٩٦٤ حوالى ٥٠٠ الف دولار . كما لوحظ انخفاض عدد اعضائها من ٥٥٣ الف عضو الى ٤٥٠ ألف عضو . وان اسهامها الواسع فى حركة الحقوق المدنية ودورها فى نطاق المحاكم والقضايا قد اديا الى تزايد انفاقها عام ١٩٦٤ الى

مبلغ ٦ر١ مليون دولار . وقد أدى هـــذا الى ان تطلب المنظمة تبرعات وأعانات من جميع الراغبين فى مساعدتها على العمل والوجود من البيض والسود على قــــــدم المساواة ..

وبالنسبة لمجلس المساواة العنصرية فقد بلغت ايراداته عام ١٩٦٤ . . ٥ ألف دولار وهذا يقل عن ايرادات عـام ١٩٦٣ بحوالى ٥٨ الف دولار ، الامر الذى أدى الى توقفه عن دفع مرتبات الموظفين التنفيذيين به ومن بينهم جيمس فارمر الرئيس القومى للمجلس ، وهذا العجز قد حدث على الرغم من اشتراكات العضوية والاعانات التى يحصل عليها المجلس من جمعيات وهيئات عديدة فى امريكا

وبالنسبة للجنة تنسيق العمل الطلابى السلمى فقـــد اصيبت بعجز مالى شديد على الرغم من نشاطها الواسع واستفادتها من خدمات ومعونات الزنوج فى كل مســارح نشاطها . وعلى الرغم من استنادها ايضا مثل غيرها على معونات الهيئات والافراد من البيض الامريكيين . ولـكن هناك اتجاها فى امريكا يرى هذه اللجنة تنظيما يميل للعنف وللتسرع والعمل غير المسئول . ولهـــذا فالهيئـــات والجماعات التى تصف نفسها فى امريكا بأنها مســئولة وعاقلة لا تمد لها يد العون المالى بالتبرعـــات والاعانات مثل غيرها من الجمعيات السابقة

الفصل الثامن

سقوط القيادات القديمة

العنف طريق المستقبل

اوصلتنا الدراسة الى عام ١٩٦٤ ، وقد شهد هذا العام قمة تناقضات الازمة الزنجية فى الولايات المتحدة ، فهو العام الذى شهد صدور قانون الحقوق المدنية وشهد وضوح اثر الأقلية الزنجية فى موازين القوى الانتخابية ، ومع ذلك شهد عام ١٩٦٤ حوادث العنف التى أثارت امريكا وفى مقدمتها حوادث هارلم وبدفورد فى نيويورك ، وحوادث العنف ليست جديدة على الحركة الزنجية ، ولكن مع ذلك فقد اثارت هذه الحوادث الدراسات المتعددة ، ومرجع هذا ان العنف عام ١٩٦٤ يتم ويحدث فى العام الذى تصورت فيه البورجوازية الامريكية البيضاء والسوداء أن حدة الموجة قد انكسرت ، وان فرص العمل والنشاط أمام المتطرفين قد تضاءلت او انتهت وان الزنوج — على حد تعبير مارتن لوثر كينج — على وشك تحقيق الحلم . وان الاقلية الزنجية اصبحت على شاكلة غيرها من الاقليات لها زعامات وقيادات تدين لها بالولاء وتأتمر بأمرها ، وان هذه القيادات عاقلة مسئولة وتعيش

فى داخل اطار العمل السياسى المتعارف عليه بامريــكا بالنسبة للنشاط السياسى والتعبير عن الاهداف والمطالب

ولكن على الرغم من هذه التصورات والتى وصلت عند البعض الى حد اليقين ، نشبت حوادث العنف مرارا فى عام ١٩٦٤ ، وشهدها ايضا عام ١٩٦٥ فى مــدن متعددة بامريكا فى الشمال والوسط والجنوب والغرب . وثبت من متابعة هذه الحوادث ان الجماهير الزنجية خرجت من الحوارى السوداء التى تقطنها هائمة على وجوههــا تحرق وتحطم وتقاتل البوليس وتشعل النيران بدون خطة مرسومة وبدون قيادة متطرفة «!!» وبدون تنظيم سرى متآمر «!!» واندفعت فى الشوارع تثير الفزع وتـعلن سخطها واحتجاجها وتفرج بهذا عن عقدها النفسية والآم الكبت الطويل المرير . ولم ترتدع هذه الجماهير بمقابلة رجال البوليس بل قابلته بالطوب والزجاجات والاسلحة والادوات التى تمكنت من تحطيمها واستعمالها فى العراك واستمرت الحوادث والاضطرابات العنيفة مددا زمنيــة طويلة تعد بالايام والليالى . وحينما هدات الحــوادث واحدة تلو الاخرى بحثوا عن السبب فلم يجدوا شيئا سوى ما يقال عن حوادث او استفزازات فردية لا يتصور عقلا ان تكون هى السبب الاساسى لكل هذا العنف وهذا الاضطراب ، والتعليل الوحيد الذى تداول بين الناس هو ان هذه الحوادث البسيطة تشبه ما يقال فى اللغة العربية عن « القشة التى قصمت ظهر البعير »

ولقد انزعج القادة والزعماء الزنوج الذين ذكــرنا اسماءهم مرارا فى اثناء الحديث عن حركة الحقــوق المدنية ، وكان انزعاجهم شديدا لدرجة ان بعضــهم استعدى البوليس والحكومة على بنى جلدته ووجه سبابا والهامات متناثرة للزنوج عموما .. بل ذهب بعضهم الى

ابعد من هذا حين طالب الحكومة والسلطات المسئولة بمعاقبة الزنوج والضرب على أيديهم بشدة

وبرزت أمام الجميع الازمة من جديد ، وثارت الاسئلة بعد هذا الشوط الطويل الذى قطعه الزنوج فى الولايات المتحدة . وكان اول سؤال ضخم هو : هل تمارس القيادات والزعامات الزنجية دورها وتضبط سلوك اعوانها وانصارها السياسي أم لا ؟

وقيمة هذا السؤال انه اذا قررنا او تصورنا ان جماهير الزنوج ترتبط بالولاء لهذه المنظمات وتدين لها بالولاء وتنضبط سياسيا بالخط السياسى الذى ترسمه القيادات ، اذن فمن اين يأتي المشاغبون والمتمردون ؟

واذا عرفنا ان جماعة أمة الاسلام وأمثالها من الجماعات السوداء لا تؤمن بحركة الحقوق المدنية وتعتزل العمل السياسى . اصبح علينا ان نعرف من اين جاء هؤلاء ؟ او نقرر فى صراحة ان الزعامات والقيادات التى تصورت او تخيلت وهما انها سيدة الموقف وان ولاء الجماهير لها شيء ثابت اكيد ــ هذه الزعامات والقيادات واهمة وان جذورها لا تمتد فى اعماق التركيب الاجتماعى الزنجى . وانها لا تسيطر فقط الا على أقلية أو أقليات بينما الكتلة الجماهيرية السوداء فى المدن وهم سكان الحوارى والقابعون فى قاع المجتمع ــ هذه الكتلة لا تدين بالولاء السياسى لاحد وليس لها حاليا زعيم او قيادة تسيطر عليها . ومن ثم فهذه الكتلة الزنجية الجماهيرية تنفجر لاسباب عدة تؤثر فيها بدون ان يدخل هذا الانفجار فى تقدير الزعامات والقيادات المقررة فى وسط الزنوج

هذه هى الحقيقة التى ابرزتها السنة الأخيرة والتى تبحث عن حل . ان الجماهير الزنجية القابعة فى الحوارى والتى تضم السواد الاعظم فى المدن لا تدين بالولاء

السياسى المنظم المنضبط لهذه الزعامات وهذه القيادات ومن ثم يتفرع عن هذه الحقيقة بحث آخر هو معرفة لماذا تم هذا ؟ وكيف تحطم الولاء السياسى وخرجت هــــذه الجماهير من اطار قيادة هذه الزعامات الزنجية ؟

ويجرنا هذا الى سؤال آخر :

لماذا لا نقول ان هذه الزعامات والقيادات الزنجية قد استنفدت اغراضها او انها سقطت فعلا من أعين الجماهير الزنجية اذ لم تستطع ان تمثلها وتعبر عن اهدافهــــا

وسواء قبلنا اجابة هذا السؤال الاول أو اجابة السؤال الثاني ، فنحن أمام معضلة تتطلب الحل فى الولايات المتحدة ولا يأتى هذا الا ان نعرف حقيقة الزنوج ومطـــالبهم وأهدافهم . فقد تكون الصورة التى رسمت لهم وتداولت صورة وهمية غير حقيقية ، وان ما بُنى على اساسها وما رسم من خطط وما راج من نظريات وبحوث انما بنى على باطل لان الزنوج فى حقيقتهم غير ما تصورته هذه النظريات

وقد تكون الازمة فى سقوط الزعامات القديمة وتضاؤل فعاليتها الايجابية فى حياة هذه الجماهير ، على الرغم من كثرة كلام واحاديث هذه الزعامات والقيادات وتهيؤاتها بالسيطرة والانضباط فى المنظمات السياسية والمجتمع الزنجى

وقد تكون الازمة فى الكيان والتركيب الاجتمـــاعى الامريكى نفسه ، اذ وصل من الجمود الى درجة لا تسمح له اذا اراد البقاء حيا على ما هو عليه ان يقبل من جديد توزيع السلطات وتغيير المستويات الاجتماعية والمفاهيم والقيم والمثل . وانه لكى يتم هذا التغيير فلابد من ثورة تهزه وتغير من قواعده الاساسية فى كل ميادين الحياة

والرأى الراجح عندى من الدراسات والقراءات التى قمت بها فى هذه القضية ان الازمة نتجت عن هــــذه العوامل كلها وانها تعقدت لدرجة مخيفة ، فالقيادات فعلا

سقطت لانها عبرت عن الطبقات المتوسطة والعليا السوداء وما ارتبط بهم من فئات المثقفين والموظفين وذوى الدخل المرتفع نسبيا . وانها فى حياتها وبحثها عن السند السياسى ارتمت فى احضان البورجوازية البيضاء ومن ثم فقد أصبحت فكريا جزءا لا يتجزأ منها

ومن ناحية اخرى نجد ان جماهير الزنوج قد تغيرت نفسياتها ومثلها واهدافها ، فقد شعروا بتزايد الهوة بين البيض والزنوج نتيجة للتقدم التكنولوجى الضخم الذى يشهد المجتمع الامريكى آثاره ، لدرجة ان بعض الدارسين يصف الموقف بأنه يشبه الهوة التى تفصل بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، فعلى الرغم من أن الدول الفقيرة تعمل جاهدة لرفع مستوياتها بوسائل العلم الحديث الا ان الدول الغنية لم تتوقف هى الاخرى عن التقدم وعن الاستفادة بنتائج آخر مبتكرات هذا العلم الحديث . ولما كانت الدول الغنية ترتفع وتتقدم من مستويات عليا ، ولما كانت الدول الفقيرة ترتفع وتتقدم من مستويات الصفر او ما فوق الصفر ، فستظل الهوة موجودة وتزداد اتساعا وهذا يثير مشكلات اكبر وتعقيدات جديدة طارئة

ومن ناحية ثالثة يجب ان نعرف ان هذه الازمة لا تعيش فى فراغ ، انما تعيش فى أعماق المجتمع الامريكى وتنعكس عليها كل أحداثه وحركته فى الداخل وفى الخارج . وان مشكلات هذا المجتمع قد تضخمت لدرجة ان عددا من المفكرين الامريكيين قدم مذكرة للرئيس جونسون فى مارس ١٩٦٤ يدعوه فيها الى تدبر الموقف وهذه الجماعة معروفة باسم « جماعة الثورة الثلاثية » . والثورة الثلاثية التى يرى هؤلاء المفكرون خطرها هى ثورة استخدام العقول الالكترونية فى الانتاج الامر الذى يؤدى الى طاقات انتاجية لا حد لها مع التقليل المتزايد من

الجهد البشرى المبذول فى الانتاج ، وهى ثورة التسلح الحديث التى أدت الى أختراع أشكال رهيبة من الاسلحة تؤدى الى القضاء على الحضارة والحياة الانسانية نهائيا ، وهى ثورة الحقوق الانسانية التى تنادى بمطلب الحقوق الانسانية الكاملة والمتساوية لجميع البشر بدون تمييز بسبب الدين والعقيدة واللون والجنس ، وان حركة الحقوق المدنية فى الولايات المتحدة جزء من حركة عالمية واسعة

وحقائق المجتمع الامريكى توضح الازمة فعلا ، فالباحثون عن عمل من بين الشباب ازدادوا بنسبة ٧ر٢ ٪ من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٠ ، بينما سترتفع نسبة الزيادة الى ٤٥ ٪ من الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ . وبالنسبة للبطالة تراوحت معدلات البطالة حول ٥ ٪ فى الاعوام الستينيات عموما ، ولكن فى عام ١٩٦٣ وصلت معدلات البطالة بين الشباب الامريكى الى ١٧ ٪ على حين انه بين الشباب الزنجى الامريكى يصل المعدل الى ٢٧ ٪ واذا نظرنا الى الاقليات بوجه عام التى تسكن مناطق وسط المدن الكبرى « الغيتو » وجدنا البطالة بين الشباب ترتفع الى ٥٠ ٪ ، وهناك حوالى ٨ مليون امريكى يبحثون عن العمل عام ١٩٦٤/١٩٦٥ . والارقام كثيرة ومخيفة وأن ما نعرضه هو عينة مما احتوته هذه المذكرة الشهيرة

اضف الى هذا انه يجب معرفة ماذا تريد جماهير الزنوج حاليا بالضبط ، لانه اذا قيل أنها ارادت منذ أول القرن العشرين الاندماج والاقرار بمساواتها وحياتها على قدم المساواة مع كل المواطنين البيض ، فليس حتما أن يكون هذا مطلبها فقط فى النصف الثانى من القرن العشرين . والدراسات فى هذا الشأن ترى أن جماهير الزنوج أصبحت تطلب شيئا أعمق وأكبر من المساواة

السياسية والاقرار الاجتماعى بوجودها ، انها اصبحت تنادي بمطالب اقتصادية على أساس ان التغيير الاقتصادي هو الذى سيقرر امكانيات دخولها فى ميدان السلطة السياسية على قدم المساواة مع البيض • ومن ثم تصبح شريكة فعلا وقولا فى السيطرة على مقدرات المجتمع وعلى ادوات الحكم والردع فيه . وتأمن من ان هذه الادوات وهذه المقدرات لن تستخدم ضدها فى يوم من الايام القادمة . ولها فى هذا عذرها لان هذه الادوات والمقدرات استخدمت ضدها طوال ٣٥٠ سنة . كما ان مفهوم الزنوج عن المطالب الاقتصادية ليس مجرد مشروعات الضمان الاجتماعي أو الخدمة الاجتماعية . فهناك فى المدن الكبرى خاصة نيويورك ثورة ورفض لما يسموه امبريالية الإعانات الاجتماعية • والمقصود من العبارة هو أن رأيا زنجيا ناميا يرى فى مشروعات الاعانات والضمان الاجتماعى نوعا من الاستعمار • والتشبيه هنا مأخوذ من موقف الرفض الذى أعلنته دول كثيرة فى آسيا وافريقيا تجاه المعونات الامريكية التى تأخذ ثوب المساعدات وتخفى فى طياتها وضع الاستعلاء والمواقف المشروطة

كل هذا يتم فى النصف الثانى من القرن العشرين الذى شهد نهوض الدول الملونة والزنجية فى العالم الثالث وحركات التحرر المسلحة فى المستعمرات وانهيار الاستعمار العالمى وازمة المعسكر الغربى . وهذا قد انعكس على حياة الاقلية الزنجية وترك فيها آثارا عدة . وهناك صورة واقعية قد تبدو بسيطة فى نظر البعض ولكنها تركت اثرا قويا فى نفسية واوضاع الزنوج الامريكيين • وهذه الصورة الواقعية هى منظر أول رئيس دولة أفريقى أسود اللون يزور الولايات المتحدة زيارة رسمية بعد استقلال بلاده عقب الحرب العالمية

الثانية وانضمامها للامم المتحدة . لقد أشارت دراسات كثيرة ودوريات صحفية الى البساط الاحمر المفروش فى المطار الذى سار عليه هذا الرجل الزنجى فى ثقة واعتداد ومن احتشد لملاقاته من المسئولين البيض وعلى رأسهم رئيس الولايات المتحدة ، وكيف انشغلت أجهزة الاعلام المتعددة بالتحدث اليه والترحيب به والاشارة بفضله ودوره فى السياسة الافريقية والعالمية . وبعدذلك تكررت الصورة مرارا بازدياد الدول الافريقية المستقلة وتوافد الزعماء الافريقيين الى اجتماعات الجمعية العامه للامم المتحدة فى نيويورك وما ظهر من مطبوعات وكتب أصدرها الزنوج الامريكيون عن حياة وسياسة هؤلاء الزعماء

وتزايد عدد الدبلوماسيين الافريقيين فى العمل الدبلوماسى لدى الحكومة الامريكية ولدى الامم المتحدة واجهزتها المتنوعة ، وكثرت حفلات البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية وظهر فيها الدبلوماسيون الزنوج ودعى لحضورها عدد من زعامات وقيادات الزنوج الامريكيين وعدد من المثقفين الزنوج . وكان السؤال الملح باستمرار على عقلية الزنوج الامريكيين هو :

« هل تغيرت الدنيا وانتهى عهد الاضطهاد وبدأ عهد المساواة والحرية ؟ » وهل أخطأ الدكتور ديبويس فى آخر حياته حين هجر أمريكا نهائيا وذهب الى غانا ليقيم فيها ويحمل جنسيتها بعد هذا الكفاح الطويل ؟ وفى طريقه الى غانا مر بموسكو وبكين وهناك احتفل بعيد ميلاده التسعين فى فبراير ١٩٥٩ وتكلم من إذاعة بكين فقال «لمدة تقرب من قرن عشت فى بلدى ولم أزد عن نيجر»

ومع اتساع نطاق الحرب الباردة والصراع الدولى ازداد تردد اسم الدول الافريقية ، وتزايدت عروض الصداقة والمعونة والتحالف من جانب الولايات المتحدة

وغيرها من الدول الكبرى ، وفى عام ١٩٥٥ عقد مؤتمر الدول الاسيوية الافريقية وهى جميعا شعوب ملونة ، وفى هذا المؤتمر صدر قرار بادانة التفرقة العنصرية فى كل مكان فى العالم المعاصر • وأسهم الكتاب الزنوج فى تأليف الكتب عن هذه النهضة فألف ريتشارد رايت كتابه عن باندونج باسم « الستار اللونى » وألف دكتور هنتون كتابا عن افريقيا وعدم الانحياز باسم « القرار فى أفريقيا » . أضف الى هذا الاحتفالات والمواكب التى شهدتها شوارع هارلم وأمام مبنى الامم المتحدة عام ١٩٦١ عندما حضر الرؤساء الافريقيون دورة الجمعية العامة للامم المتحدة

وقبل ان نختتم هذه الدراسة نشير الى المؤتمر الاول لمنظمة الوحدة الافريقية بأديس أبابا فى مايو ١٩٦٣ الذى استنكر التفرقة العنصرية ضد الشعوب والافراد ذوى الاصل الافريقى الذين يعيشون خارج القارة ـ وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية . واعتبر استمرار سوء المعاملة نذيرا بتدهور العلاقات بين شعوب وحكومات افريقيا وبين شعب وحكومة الولايات المتحدة الامريكية (الفقرة الخامسة من القرار الخاص باستنكار وادانة التفرقة العنصرية فى افريقيا وفى العالم اجمع بجميع صورها واشكالها)

وخلاصة القول أن الازمة قد بلغت مرحلة الاشتعال وان الانفجارات التى شهدتها الولايات المتحدة عام ١٩٦٥ تؤكد أن وميض النيران يرتفع من أعماق هذا المجتمع الثرى الكبير ، وأن الثورة والعنف والدم هى علامات واضحة فى طريق المستقبل ، وان البديل الاوحد هو حل جذرى فى تركيب المجتمع وفى توزيع القوة والسلطة فيه ليعيش الانسان أسود اللون كما يعيش البشر الاخرون على أرض الولايات المتحدة الامريكية

المراجع

اولا : الكتب

Clarke (John) : Harlem.
Citadel Press, U.S.A. 1964.

Frazier (Franklin) : 1) Back Bourgoisie.
Collier Books, U.S.A. 1962.
2) The Negro in the United States.
Macmillan Press, U.S.A. 1949.

Galazer (Nathan) : Beyond the melting pot.
M.I.T. Press, U.S.A. 1963.

Gittler (Joseph) : Understanding Minority Groups.
John Wiley & Sons, U.S.A. 1956.

Golden (Harry) : Mr. Kennedy and the Negroes.
Crest Books, U.S.A. 1964.

Handlin (Oscar) : The crisis in Civil Rights.
Beacon Press, U.S.A. 1964.

Harrington (Michael) : The other America.
Penguin Books, London 1962.

Harris (Louis) : The Negro Revolution in America
Simon & Schuster, U.S.A. 1963.

Isaacs (Harold) : The New World of Negro Americans.
Viking Press, U.S.A. 1963.

Lincolin (Eric) : The Black Muslims in America.
Beacon Press, U.S.A. 1963.

Lomax (Louis) : 1) The Negro Revolt.
Signet Books, U.S.A. 1963.
2) When the word is given.
Signet Books, U.S.A. 1963.

Mannix (Daniel) : Black Cargoes
Viking Press, U.S.A. 1962.

Myrdal (Gunner) : 1) An American Dilemma
Harper & Brothers, U.S.A. 1944.
2) The Challenge to Afluence.
Beacon Books, U.S.A. 1964.
Parkes (Henry) : The American Experience.
Vintage Books. U.S.A. 1961.
Quarles (Benjamin) : The Negro in the marking of America.
Collier Books, U.S.A. 1964.
Rose (Arnold) : The Negro in America.
Harper & Row Inc., U.S.A. 1964.
Saunders (Doris) : The Day they Marched.
Johnson publishing Co., U.S.A. 1963.
Silberman (Charles) : Crisis in Black and White.
Random House, U.S.A. 1964.
Thompson (Daniel) : The Negro leadership class.
Spectrum Books, U.S.A. 1963.
Udom (Essien) : Black Nationalism.
Dell publishing Co., U.S.A. 1964.
Williams (Eric) : Capitalism and Slavery.
University of North Carolina Press, U.S.A. 1944.

ثانيا : المجلات

1 — Liberation. (Monthly, U.S.A.)
2 — Monthly Review. (Monthly, U.S.A.)
3 — New Politics. (Quarterly, U.S.A.)
4 — Dissent. (Quarterly, U.S.A.)
5 — Studies on the left (Quarterly, U.S.A.)

ثالثا : مؤلفات عربية

١ ـ فكرة الوحدة الافريقية ـ دكتور عبد الملك عودة ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٥
٢ ـ رياح الثورة في البحر الكاريبي ـ دكتور عبد الملك عودة مجلة السياسة الدولية ـ عدد يوليو ١٩٦٥ ـ القاهرة
٣ ـ صورة أفريقيا والمنظمات الامريكية السوداء ـ دكتور عبد الملك عودة مجلة السياسة الدولية ـ عدد أكتوبر ١٩٦٥ ـ القاهرة

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

اللاذقيـــة : السيد نخلة سكاف

جـــــدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحـرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد ـ ص.ب ٢١ .

البـــرازيل : Sr. Miguel Maccul Crry,
R. 25 de Marco, 994,
Caixa Postal 7406,
Sao. Paulo, BRAZIL

ســنغافورة : Mr. Ahmed Bin Mohamad Bin Samit
Almaktab Attijari Assharat,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

انجلـــــترا : ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

هذا الكتاب

يروي هذا الكتاب قصة ٢٠ مليونا من البشر سود اللون يعيشون فى قلب المجتمع الامريكي ويمثلون اقليــة لايعترف المجتمع بوجودها ..

ولكن صيحة هؤلاء البشر ترتفع من اعماق التركيب الاجتماعي الامريكي تعلن رفضهم دوام هذا الوضع التقليدي الذي ارساه البيض على اساس : « اذا كنت ابيض اللون فتقدم للامام ، واذا كنت ملونا فقف جانبا ، اما اذا كنت اسود اللون فتراجع الى الخلف » .

وترفض هذه الاقلية السوداء هذه الحياة . فهم اقدم اقلية ظهـرت فى الحياة الامريكية مع الانجلوساكسون البيض البروتستانت ، واكتسبوا لغتهم وثقافتهم واديانهم . ومع ذلك فبعد ٢٥٠ سنة من اقامتهم على ارض الولايات المتحدة الامريكية ، مازالوا يمثلون قبيلة سوداء تائهة فى ارض الضياع الاجتماعي الابيض .

ولعل هذا هو التعبير الوحيد الذى نفهم به حديث الدكتور وليم بورجهاردت ديبويس الذى القاه من اذاعة بكين فى عيد ميلاده التسعين فى فبراير ١٩٥٩ :

« لمدة تقرب من قرن كامل عشت فى بلدى ولم ازل مطلقا عن نيجرا[illegible]

ومؤلف الكتاب هو الكاتب الجامعي المعروف الدكتور عبد الملك عودة وهو عالم اشتراكي مثقف ، وقد قضى فى امريكا مائتي يوم ، اقترب فيها من مشكلة الزنوج الامريكيين وعاش فى قلبها ، واحس بكل مافيها من الحقائق المجحفة المؤسفة .. وهــذا الكتاب القيم هو خلاصة تجربة الدكتور عبد الملك عودة مع معرفة علمية واسعة بالقضية الزنجية الامريكية